الفصل الثاني

مفاضلاتٌ ومصطلحاتٌ نقدية

المبحث الأول:

المفاضلة بين الشعراء.

المبحث الثاني:

مصطلحات وألقابٌ نقدية.

المبحث الثالث:

فحولة الشعراء وطبقاتهم.

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول

المفاضلة بين الشعراء

استوقفتنا مصطلحات نقدية في العصر الجاهلي منها (أشعر الشعراء) و (أشعر الناس) و (أشعر العرب)، وكانت هذه المصطلحات من مقاييس الحكم على جودة شاعرما، وبلوغه الغاية في وصف معين أو معنى مخصوص، وقد أورد النقاد نصوصاً كثيرة استخدم فيها هذا المقياس في العصر الجاهلي والعصور التي تلته وهذا مما يدل إلى استمرار استخدامه من النقاد.

وقد يقال أشعرالعرب في قصيدته ثم يورد مطلعها أو مجموعة من أبياتها أو ينشدها كاملةً أو يكتفي ببيت من أبياتها، ويقولُ هو أشعرالناس في ذلك البيت، وكأن الشاعر المعني هنا قد أصبح أشعرالعرب أو هو أشعرالناس في قصيدته أو في بيتٍ منهاوليس في سائر شعره فهو متفوق في هذا المعنى بالذات على غيره ممن طرق المعنى نفسه وعالجه في بيت آخر أو أبيات ولعل هذا يضفي لوناً آخر من التحديد الذي ذكرناه. ويقول الدكتور وليد الخالصي: "عمد بعض النقاد إلى سوق تعليل لهذا الحكم إذ لا يترك هكذا على إطلاقه فشاعر ما قد أصبح أشعرالناس أو العرب لأنه قال ما لم تقله الشعراء أوجاء بالبديع المستطرف الذي فاق به نظراءه، ومعروف" أنَّ التعليلَ يقترب بالحكم من الموضوعية ويمنحهُ أبعاداً من القبول والمصداقية"[1].ويقول محدداً المنهج الذي يجب أن يتبع في هذه المعالجة" ويفترض ذلك المنهج أن يكون صاحب الحكم عارفاً بالشعراء جمعيهم، دارساً شعرهم، ذاهباً بعد هذا إلى أن هذا الشاعرهو أشعرهم، وأفضل منهم، وهذا فيما ـ نعتقد لم يفكر فيه صاحب الحكم أو يضعه في حسابه، ناهيك أنه ليس في طاقة البشر، ولذلك من الممكن اعتبار هذا الحكم تعبيراً عن فرط الإعجاب وشدته بحيث أن الناقد لشدة إعجابه بالشعر الذي يسمعه أوبالشاعر نفسه لم يجد من أداة لتفضيل ذلك الشعر أو الشاعر إلا بصيحة الإعجاب تلك وجعله أشعرمن غيره، ولعل فكرة التفضيل والموازنة بين الشعراء ساعدت إلى مدى كبير على كثرة استخدام هذا الحكم

(1) النقد الأدبي في كتاب الأغاني، الدكتور وليد محمد خالص، 1297/2.

obeikandl.com

وانتشاره.." وقد ألفت عبارات كثيرة أطلقها العرب في عصر ما قبل الإسلام مصطلحات نقدية من ذلك قولهم (أشعرالناس) أو (أشعرالعرب) أو (أشعرالشعراء) أو (أشعرالجن والإنس) أو (أشعرقبيلة)، أو أمدح بيت شعري أو أغزل أو أهجى أو أشعر.. إلى ما هنالك. والناقد لا يطلق هذه الأحكام إلا على مدى حافظته وإطلاعه. وقد يتكرر الحكم لأكثر من شاعر لدى الناقد، وقد ولع النقاد القدماء بإطلاق هذه الأحكام الخاصة بالمفاضلة وذلك للإشارة منهم إلى تقديم شاعرٍ ماعلى غيره في ضربٍ معيَّنٍ من ضروب الشعركالفخر والغزل والمديح والهجاء وما إلى ذلك من فنون الشعر، وقد يطلقها هؤلاء النقاد لوجود بعض المميزات الفنية المتعلقة بالشكل أو المعنى في شعر الشاعر فهي آراء نقدية دقيقة مستندة إلى تأمل طويل في معاني الشعر الجاهلي.

ولعل مصطلح المفاضلة (أشعر..) فيه أمرٌ من الصعوبة لأن تفضيل شاعر في أمّة شاعرة قطعت أكثر من قرن ونصف من الإبداع الشعري، وهو أمرٌ من أزهى الآماد الفنية، تفضيلٌ صعبٌ ولا سيما في أمرٍ نسبي.

والحق أن العرب لم تطلق تلك العبارات اعتباطاً من دون تعمّق فيما تلفظ وفيما تحكم، ولا يمكن، أن نردَّ ذلك إلى الذوق فقط، فالباحث يرى أن الناقد لم يطلق تلك الأحكَام إلاَّ وكان لديه معرفة كاملة بأشعار العرب وأنسابها وأيامها، وكان له فهم لمعاني الشعر وأغراضه، وكان له علم بفنونه، ولا شك في أن أحكَام النابغة في تفضيله الأعشى والخنساء على حسّان مايثبت ذلك، بل حتى في قوله للخنساء "والله لولا أَنّ أبا بصير أنشدني آنفاً لقلت: إنّك أشعرالجن والإنس"[1] فهو حكم نقدي لأبي بصير في أنه أشعرالناس والعرب والجن. وحتى في حكمه على حسّان بقوله: "أنت شاعر ولكنك أقللت جفانك وأسيافك..."[2] فهو يحكم على شاعريته، إلاّ أنه يثبت عليها عيوباً لو تلافَاها لكان أشعرالعرب. وهذه الأحكَام لا تصدر إلاَّ عن قوة في الاستخدام اللغوي ومعرفة بالمعاني التي تقبلها العرب وتفضلها

(1) الشعر والشعراء 344/1.

(2) الموشح، ص 82.

على ما سواها وترتضيه لها فخراً.وتأسيساً على هذا فإننا نثبت رأينا في مخالفة من ادّعى أن حكم النابغة كان بدافع الغيرة وهذا أمر لا نقبله لأننا نجد في حكمه روحاً علميّة ونفساً نقديّاً وأساساً يدلُّ على ذوقٍ في معرفة ما وراء الكلمات.

ومن حسنات هذا العصر أن الحكم بين الشعراء يكون شعره عرضة للنقد فها هو النابغة الشاعر الذوّاقة الذي تلتجيء الشعراء إليه ليحكم بينها نجده يُنبّه على الإقواء في قصيدته المشهورة، حتى أنه قال "قدمت الحجاز وفي شعري صنعة ورحلت وأنا أشعرالناس"(1).

إن قولاً مثل هذا يدل على عقلٍ راجحٍ ونضجٍ في التفكير وتقبل للنقد.

وهذا الأمر جعل له قصب السبق في آرائه وأحكَامه وزادهُ معرفة بالشعر والشعراء فمن ذلك ما جاء في كتاب الأغاني من أنّ النابغة كان يريد سوق بني قينقاع فلحق به الربيع بن أبي الحقيق وهو شاعر فلما أشرف على السوق سمعا ضجّة، فحاصت بالنابغة ناقته فأنشد قائلاً:

(كانت تهال من الأصوات راحلتي)، ثم طلب من الربيع أن يكمّل شطر البيت وكأنه يمتحنه، فقال الربيع:

(والنفر منها إذا أو جسته خلقُ)، فقال النابغة: (ما رأيت كاليوم شعراً) ثم قال (ولولا أنهنها بالسوط لاجتذبت) أجز يارربيع فقال: (إلى مناهلها لو أنها طُلُقُ) فقال النابغة: أنت يا ربيع أشعرالناس(2).

ويبدو أن النابغةَ كانَ يريدُ أن يعرف في الربيع مدى شاعريته، وسرعة البديهة عنده، وفي الوقت نفسه نظر النابغة إلى قوة السبك اللفظي وجزالة المعنى المكمل لمعنى كلامه وموضوعه، فالحكم هذا وإن كان يخص الربيع وشعره فهو في الوقت نفسه يخص النابغة الشاعر لأنه قد جعل نفسه القاعدة أوالقياس الذي يقاس عليه الشعراء.

---

(1) الموشح، ص 46.

(2) ينظر: الأغاني 22/133-134.

oberkanal.com

ويروي أبوالفرج الأصفهاني أن النابغة الذبياني: "قدم إلى المدينة، فتقدم إليه قيس بن الخطيم وجلس بين يديه وأنشده (أتعرفُ رسماً كالطراد المذاهب) حتى فرغ منها. فقال له النابغة: أنت أشعرالناس يا ابن أخي، وقال حسّان: فدخلني منه شيءٌ وحسدته على ذلك، ثم تقدمت وجلست بين يديه، وكان يعرفني من قبل ـ فقال أنشد فوالله أنت شاعر قبل أن تتكلم، فأنشدته فقال أنت أشعرالناس"(1).

وقد يتراءى لنا تناقض من الوهلة الأولى، فقد أطلق حكمين غير مختلفين في مجلسٍ واحدٍ، فكلا الشاعرين صار أشعرالناس في ساعةٍ واحدة.

والحق أنّهُ لا تناقض في الحكمين. إذ يبدو أنه أراد بأشعرالناس أنه أفضل الشعراء في هذه القصيدة وغرضها وشكلها وتجانس ألفاظها وملاءمتها المعنى ومناسبتها، وبذلك كانت قصيدة قيس في نظره في ذلك المجلس لا يقولها إلاّ أشعرالناس، وكانت قصيدة حسان بأجوائها في نظرهِ في ذلك المجلس لا تصدر إلاَّ عن أشعرالناس وبهذا لا تناقض في قول النابغة في ذلك الحكم الذي لم يقتصرْ نشاطه النقدي في سوق عكاظ بل تعدّاه إلى أسواق أخرى.

وتأسيسًا على هذا فإنه قد تبيّن لنا أن النقد كان يتَّسمُ بالشموليّة والحكم والانطباع، إذ لم نجد تعليلاً لكل حكم أو تفسيراً لكل قول، وإن كان هذا ليس من عمل الناقد. ولكن لا يعني أن الحكم في هذا المعنى "لا ينبني على شيء. إذ الواقع أن هذا الحكم يدلّ على أشياء كثيرة، لها قيمتها في النقد الأدبي. منها: أن ذلك الحكم على الشاعر معناه أنه في هذا المعنى الجزئي قد استطاع أن يصل إليه، ويعبر عنه تعبيراً فاق به الشعراء العامة، فاستحق بذلك ان يوصف بأنه أشعرالشعراء في هذه الجزئية الخاصة"(2).

ويبدو أن النابغة قد كاد ينفردُ بهذا الحكم النقدي (أشعرالناس) أو (أشعرالعرب) أو أشعرالشعراء إلى ما هنالك... ففي مجالس النعمان بن المنذر توسم

---

(1) الأغاني 1/2.-11 وشطر البيت في ديوان قيس بن الخطيم76 وفيه المذّهبِ وعجزه:لعمرة وحشاً غير موقف راكبِ.وعمرة اخت عبدالله بن رواحة ينظر: خزانة الأدب 25/7.

(2) أسس النقد الأدبي عند العرب، الدكتور أحمد أحمد بدوي، ص 554553.

obeikandi.com

النابغة في لبيد الشاعرية، إذ قال له: "... يا غلام إن عينيك لعينا شاعر أفتقرض من الشعر شيئا؟ قال نعم قال أنشدني شيئاً مما قلت.. فأنشده قوله:

ألم تربع على الدمن الخوالي.

فقال له ياغلام أنت أشعربني عامر زدني فأنشده قوله:

(طلل لخولة في الرسيس قديم) فضرب بيديه على جنبيه وقال اذهب أنت أشعرقيس كلها أو قال هوازن كلها. ثم قال زدني فأنشده قوله:

عفت الديار محلّها فمقامها بمنى تأبدّ غولها فرجامها

فقال له النابغة اذهب أنت أشعرالعرب"(1).

وهو بهذا الحكم - كما يبدو - نقض الحكم السابق الذي قضاه للأعشى وهذا يتكرر لأكثر من شاعر من الناقد نفسه والحق أن الحكم إنما يتجه للمعنى الذي يأتى به الشاعر وانفعال الحكم بهذا المعنى - فالذهن متصرف لمعنى البيت وتركيبه ومطابقته للحال.

ثم إن النقد كان يحكم على أمور وجدانية وانفعالية إنسانية، وليس على أمور علمية محددة لتطلب منه الثبات والتجدد والتّفنن، لأن النقد أدب يميز بين الجيد والأجود ويرفض الرديء، وبناءً على هذا فإن نقد ما قبل الإسلام كان انطباعاً أكثر منه تعليلاً.

وكان تسجيلاً للحس الذاتي للنقد إزاء البيت أو الصورة وليس هذا عيباً فالفطرة تتسم بالصدق والذاتية ترجمة لما في النفس من أثر إزاء العمل الفني(2).

وقد اختلفت هذه المصطلحات في المعنى من عصر إلى آخر ومما لا ريب فيه أن الذوق قد اختلف عمّا كان عليه، والنظرة إلى الشعر اختلفت. ولا ريب في أن حصول ذلك التغير هو سبب تغير الحياة وتغير الفكر والمفاهيم تبعاً لما جاء بهِ الإسلام من فكر عقيدي وإيمان راسخ أضاء للبشرية وأخرجها من الظلمات إلى النور.

---

(1) ينظر: الأغاني: 378377/15. والأبيات في ديوان لبيد، ص297، 95، 87.

(2) ينظر: ابن سَلاَّم وطبقات الشعراء، الدكتور منير سلطان، ص21.

obeikandi.com

وقد تغيرت تبعاً لذلك نظرة المسلمين إلى الأدب، وتطورت عما كانت عليه في الجاهلية، ويبدو أننا قد وقفنا إزاء ذلك في صفحات هذا الفصل. ويهمّنا من ذلك المفهوم النقدي للمفاضلة بين الشعراء وبالموقف الدقيق الذي نريد معالجته لمصطلح "أشعر الشعراء".

وإذا تتبعنا الأمر وجدنا أن الرسول الكريم ﷺ هو أو ل من أطلق عبارة (أشعر الشعراء) في عصر صدر الإسلام عند حديثه عن امرئ القيس، إذ قال: "أشعر الشعراء وقائدهم إلى النار" وقال:"قائد الشعراء إلى النار" وهذا الرأي نابع من تعاليم دينية إسلامية. ومع معرفة الرسول ﷺ بأشعر الشعراء نجد مناقشات أدبية بينه ﷺ وبين حسّان بن ثابت، إذ جاء في نهج البلاغة أنه قد "حدّث عوانته عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال لحسّان بن ثابت: من أشعر الناس؟ قال:الزرق العيون من بني قيس، قال: لست أسألك عن القبيلة، إنما أسألك عن رجلٍ واحد، فقال حسان: يارسول الله إن مثل الشعراء والشعر كمثل ناقة نحرت، فجاء امرؤ القيس بن حجر فأخذ سنامها وأطايبها، ثم جاء المتجاوران من الأوس والخزرج فأخذوا ما والى ذلك منها، ثم جعلت العرب تمزّعها، حتى إذا بقي الفرث والدم جاء عمرو بن تميم والنمر بن قاسط فأخذاه، فقال:الرسول ﷺ ذلك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها، خامل يوم القيامة، معه لواء الشعراء إلى النار"(1) وقد قصد امرأ القيس.

وقد جاء في طبقات فحول الشعراء أن حسَّاناً سئل من أشعر الناس؟ فقال:"أشعر الناس حيّاً هذيل، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب"(2).

ويروى أنَّ لبيداً حينما مرّ بالكوفة في بني فهد سألوه عن أشعر الناس فقال: (الملك الضليل (يعني امرأ القيس) ثم الغلام القتيل (يخص طرفة بن العبد) ثم (أبو عقيل) ويعني نفسه(3).

---

(1) شرح نهج البلاغة 169/2، للاستزادة ينظر: العمدة 94/1.

(2) طبقات فحول الشعراء: 131/1 وينظر: الأغاني6/،264والعمدة95/1.

(3) ينظر: الأغاني 371/15.

openkanal.com

فالنص يوضح ثلاث نقاط كلها تدور في فلك الأشعر، ولكنها جاءت متسلسلة من حيث المرتبة ولاغرو في أن يكون امرؤ القيس أشعر الناس في المرتبة الأولى وبهذا يكون أفضلهم مكانة ومنزلة، إذ هو قمة الشعراء في نظر لبيد و يبدو أن هذا الحكم يقترب من حكم جمهور الأدباء، ثم يأتي طرفة في المرتبة الثانية، وقد وضع نفسه - أي لبيد- في المرتبة الثالثة تواضعاً، ولكنه في الوقت نفسه أفضل من الشعراء الذين لم يذكرهم ويبدو أن ذوقه الفطري ودربته وثقافته ومكانته قد أهلته إلى إصدار مثل هذا الحكم.

وكان الحطيئة ممن يفاضلون بين الشعراء. فقد سئل عن أشعر الناس. فقال الذي قال:

من يجعل المعروف من دون عرضهِ يفـرّهُ ومـن لا يتـق الشـتم يشـتم

يعني زهيراً. ثم سئل. ثم من؟ قال: الذي قال:

مـــن يســـأل النـــاس يحرمـــوه وسائل الله لايخيبُ

يعني عبيد بن الأبرص(1).

ويبدو أن ذلك كان حكماً ذاتيّاً نابعاً من إعجاب واستحسان الحطيئة لشعر شاعرين يشهد لهما بأنهما أشعر الناس.

فلا يخفى مدى إعجاب الحطيئة بشعر زهير، إذ قال فيه: "ما رأيت مثله في تكفيّه على أكناف القوافي وأخذه بأعنتها حيث شاء من اختلاف معانيها امتداحاً وذمّاً"(2).

وقد سأل ابن عباس الحطيئةَ عن أشعر الناس فأجاب "إنه الذي قال:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يَفـرْهُ ومـن لا يتـق الشـتم يشـتمِ

وليس الذي يقول:

ولســت بمســتبق أخــاً لا تلمــه علــى شــعثٍ أي الرجــال المهــذّب؟

---

(1) الشعر والشعراء 373/1 والبيتان في ديوان زهير، ص 30 وعبيد بن الأبرص، ص 26.

(2) الشعر والشعراء 143/1-144والأغاني193/2.

obeikandi.com

"بدونه، ولكن الضراعة أفسدته كما أفسدت جرولاً، والله لولا الجشع لكنت أشعر الماضيين، وأمّا الباقون فلا شك أني أشعرهم. قال:ابن عباس كذلك أنت يا أبا مليكة"(1).

فالحطيئة أصدر حكماً نقدياً يعدَ زهيراً أشعر الناس وليس النابغة بدونه لولا التكسب الذي افقده ميزة أنه يقول الشعر لا عن رغبة أو رهبة. تلك الضراعة التي تفسد الشعراء ومنهم جرول فيقولون ما لا صدق فيه، والتي لولاها لكان الحطيئة (أشعر الماضيين)، وهو بذلك يرى أن الطمع يفقد الشعر صدقه ويقلل من مكانة قائله.

وهذا المعيار نفسه الذي وضعه الإمام علي (ﷺ) في أن مكانة الشاعر أو شاعريته مشروطة بالبعد عن الرغب والرهب إذن وافق حكم الحطيئة حكم الإمام علي(ﷺ).

وروي أن الحطيئة حضر ذات ليلة مجلس سعيد بن العاص وكان أهل المجلس يخوضون في الشعر، فقال لهم: والله ما أصبتم جيد الشعر ولا شاعر العرب فسأله سعيد بن العاص: من أشعر العرب؟ قال:الذي يقول:

وأنشدها حتى أتى عليها. فقال له: من يقولها؟ قال:أبو دؤاد الأيادي" قال: ثم من؟ قال:الذي يقول:

أفلح بما شئت فقد يدرك بالـ ـجهل وقد يخدع الأريب

ثم أنشدها حتى فرغ منها. قال:ومن يقولها؟ قال:عبيد بن الأبرص، قال:ثم من؟ قال: والله لحسبك بي عند رغبة أو رهبة إذا رفعت إحدى رجلي على الأخرى ثم عويت في أثر القوافي عواء الفصيل الصادي"(2).

---

(1) العمدة 1/96-97. وينظر: خزانة الأدب 2/362. والبيتان في ديواني، زهير، ص 30 والنابغة: 78.

(2) الأغاني 16/409-410،وينظر: الشعر والشعراء 1/190وفي طبقات فحول الشعراء1/121 جعل الحطيئة زهيراً والنابغة أشعرالعرب وحدد ذالك ببيتين أخرين، والبيتان في ديوان أبي دؤاد، ص 338 وديوان عبيد بن الأبرص، ص26.

ومع أننا نجد تناقضاً في قول الحطيئة بعدّه أشعر الناس زهيراً مرّة وأبا دؤاد الأيادي مرّة أخرى إلاّ أن ذلك قد يكون عن ظرف نفسي تلازم ونفسية الحطيئة عند سماعه أحدهما، وعند سؤاله، وقد تكون تلك الأحكام ناتجة عن تأثر وقتي وذوق فني واءم ذوق الحطيئة وأثّر فيه، وقد يكون هذا أشعر في موضع، وذاك أشعر في موضع آخر، ولا يعني أن الحطيئة، قد أغفل الشعراء الباقين فقد حكم لأربعة منهم في وصيته المشهورة وهم الشماخ بن ضرار، وضابئ بن الحارث البرجمي وامرؤ القيس وحسّان بن ثابت، وقد ذكر كلاّ منهم ببيت من شعره هو الذي رشحه لمكانه الذي قسّمه له، واستحق به الحكم الذي بعث به. قالوا: " لما حضر الحطيئة الوفاة اجتمع إليه قومه فقالوا يا أبا مليكة أوصي فقال: ويلٌ للشعر من راوية السوء. قالوا: أوصِي يرحمك اللّه! قال: من الذي يقول:

إذا أنبض الرّامون عنها ترنمّتْ ترنُّم ثكلى وجعتها الجنائزُ

قالوا الشماخ. قال: أبلغوا غطفان أنه أشعر العرب. قالوا ويحك! أهذهِ وصية؟! أوصِ بما ينفعُكَ. قال: أبلغوا أهل ضابئ أَنهُ شاعر حيثُ يقولُ:

لكل جديد لذّةٌ، غير أنني وجدتُ جديدَ الموتِ غيرَ لذيذِ!

قالوا: أوصِ ويحك بغير ذا. قال: أبلغوا أهل امرئ القيس أنه أشعر العرب حيث يقول:

فيالك من ليلٍ كان نجومَهُ بكلِّ مُغارِ الفتلِ شدّت بيذبلِ

قالوا: اتقِ اللّه، ودع عنك هذا. قال: أبلغوا الأنصار أن صاحبهم أشعر العرب حيث يقول:

يغشَونَ حتى ما تهرّ كلابهُمْ لا يسألون عن السّوادِ المُقبلِ

قالوا: هذا لايغني عنك شيئاً. فقل غير ما أنت فيه. فأنشد أبياتا أخرى تصف الشعر وتصور خلق الحطيئة وشخصيته العابثة وطبيعته"[1] الساخرة وبعد حوار نقدي

(1) خزانة الأدب 2/263-364 للاستزادة ينظر: الأغاني 2/195-196 والبيتان في ديوان امرئ القيس 19 وديوان حسّان 123، ص.

obeikandl.com

سألوه من أشعر الناس يا أبا مليكة ؟ فأومأ بيده إلى فيه، وقال:هذا الحجير إذا طمع في خير واستعبر باكياً. فقالوا له: قل لا إله إلاّ اللّه فأنشد بيت شعر[1].

ويبدو من السياق أن التناقض قد لازم هذا الخبر، فالحطيئة يرى أن أشعر الناس أبو دؤاد الأيادي مرة وزهير مرّة أخرى، وإذا كان سياق الخبر يدل على أنه أول من ذكر هو أبو دؤاد، فيبدو أنه يستحق التقدمة ثم يصل إلى زهير ويقول (هو أشعر الناس)، ويبدو أن الحطيئة قد فنّد أيهما أشعر وفي ماذا فقد حدد القصائد التي أنطلق عليها حكمه مع علمنا أن زهيراً هو أستاذٌ للحطيئة وهما من مدرسة الصنعة المعروفة، وهناك من ذكر أنه إنما ذكر زهيراً"ليغمز عتيبة بن النهاس ويعرّض بصاحبه، وأنه لم يكن به أن يبدي رأياً في الشعر قدر ما كان به أن يعرض بصاحبه، إذ لاحظنا مقصدية الناقد وبنظرة فاحصة أخرى، ولم نجد في خبر هذه الرواية أي تناقضٍ يذكر [2] لذلك أن أبا دؤاد يستحق أن يكون أشعر الناس في نظر الحطيئة، وقد فضلهُ على صاحبه وزعيم مدرسته بإنزاله المنزلة الواحدة. وربما إن في قصيدة أبي دؤاد ما يتناسب والحالة النفسية المسيطرة على الحطيئة وقتذاك مع علمنا أن شعر أبي دؤاد فيما يظهر من النماذج الفنيّة التي كان الحطيئة يرويها ويدرسها ويحذو عليها.

والحق أن الناقد لا يستطيع مهما أوتي من موضوعية أن يحكم بين شعراء العصر الجاهلي والمخضرمين فكلهم محسن ولكن أن يقول هذا الناقد هذا أشعر، وهذا أفضل العرب،فان هذا هو الذي يجعل منه متناقضاً، فضلاً عن الظروف النفسية أو السياقات والمناسبة هي التي تضغط عليه وتجعله يطلق: أشعر وأفضل ذلك بأن المصطلح قاصر لدى نقاد تلك الأيّام ثم أن الحطيئة ربّما قال هذا الحكم في شبابه وقال:ذلك في شيخوخته وهكذا.

فالحطيئة - كما يبدو- يدرك قيمة المديح في الشعر العربي إذ يرى أن الطمع والجشع يساعدان على تجويد شعر الشاعر من الناحية الفنيّة. وتلك نظرة لها شأنٌ

---

(1) ينظر الأغاني 160/9.

(2) ينظر: في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية، ص 65.

مهمٌّ، لأنها تنمّ عن وعي الحطيئة، وملاحظاته القيّمة على القصائد التي تجعل الشعراء يتسابقون إلى المديح. وبهذا يكون الحطيئة قد أدرك أثر الدافع إلى المديح وهذا الدافع هو الطمع.

وفي كل ما تقدم من أحكامٍ ومفاضلات أطلقها الحطيئة، نحس روح نقد عصر ماقبل الإسلام الذي يعمم إطلاقاً من الجزئيات من دون أن يتكلف التفسير والتعليل. وقد كان زهير يعترف بتقديم النابغة عليه فقد قال حماد: " لم أدرك أحداً من أهل العلم من قريش يفضل على زهير أحداً من الناس في الشعر. وكان زهير يقول: ما أنا بأشعر من النابغة، والعرب يفضل كل قوم شاعرهم، غير أن قريشاً قد اتفقت على تفضيل زهير والنابغة " [1] وعلى هذا يبدو أن زهيراً كان محظوظاً فتفضيل قريش له يعزز من منزلته ومكانته لأن لديها خبرة طويلة ونظر دقيق في الشعر العربي في العصر الجاهلي، فضلاً عن أن العرب كانت تعتد برأي قريش.

أما فيما يتعلق بتعصب العرب لشاعرٍ ما وتفضيل كل قبيلة لشاعرها فقد أكد هذا ابن سلاَّم في قوله: إن علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس بن حجر، وإن أهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى، وإن أهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيراً والنابغة "[2].

وكان أبو عمرو بن العلاء يقول عن المتذوقين من الشعراء والعلماء: " اتفقوا على أن أشعر الشعراء امرؤ القيس والنابغة وزهير والأعشى"[3]، وكان يقول :" وكان شعر ثلاثة من شعراء الإسلام يشبه بشعر ثلاثة من شعراء الجاهلية، الفرزدق بزهير، وجرير بالنابغة، والأخطل بالأعشى، وشبه شعر الفرزدق بشعر زهير لمتانتهما واعتسارهما "[4].

---

(1) شرح ديوان زهير، ص 326،.86.

(2) طبقات فحول الشعراء 52/1 وينظر العمدة 80/1 والمزهر 2/ 482.

(3) شرح شواهد المغني 23/1.

(4) م. ن 15/1.

obeikandi.com

أما الأصمعي فقد كان تارة يقدم النابغة وأخرى امرأ القيس غير أنه حسم أمر التقديم بقوله: " ما أرى في الدنيا لأحد مثل قول امرئ القيس:

وقـــاهم جـــدّهم بـــبني أبـــيهمْ وبالأشـقين ماكـــان العـــقاب

وتقول الدكتورة سنية أحمد: "يمكن القول بأن نقاد القرن الثاني دأبوا على تصنيف الشعراء في طبقات، وهذا التصنيف ما هو إلا مظهر لإعلان غير مباشر عن وحدة الخصائص التي اجتمعت لهذه الفئة التي ضمتها الطبقة الواحدة."(1)

ونخلص من هذا كله إلى أن (أشعر الناس) ومرادفاتها قد كانت من الملاحظات النقدية المهمة التي أبداها نقاد ذلك العصر في المفاضلة بين الشعراء. ويبدو أنها ارتبطت بالمديح أكثر من غيره، فعمر فضّل زهيراً وكان أحد أسباب التفضيل "أنه لا يمدح الرجل إلا بما فيه وأنّه لا يتبع حوشي الكلام ولا يعاظل"(2) آما الخليفة علي ﷺ فقد فضل امرأ القيس على الشعراء لأنه أسبقهم بادرة وأصحهم نادرة ولا يقول لرغبة ولا رهبة"(3) وتبعه في ذلك حسان، وقد جعل الحطيئة المديح معياراً للتفضيل فإنه قد أضاف شيئاً للمفاضلة وهو (الصدق الواقعي) فالشاعر الأشعر هو الذي لا يسعى إلى التكسب بدليل أنه أقصى النابغة ونفسه بسبب ذلك، وفي الوقت نفسه يرى أن الطمع والجشع يدفع الشاعر إلى الإجادة بدليل قوله عندما سئل من أشعر الناس فأخرج لسانه وقال: "هذا إذا طمع"(4) وفي رواية أنه قال :حسبك بي إذا وضعت إحدى رجلي على الأخرى.ثم عويت في إثر القوا في كما يعوي الفصل في أثر أمه"(5)، ومن النقاد الذين أشاروا إلى أن الطمع يفسد الشعر الأصمعي.فقد قال حمّاد:" قال لي الأصمعي وقد أنشد شيئاً من شعر الحطيئة: أفسد مثل هذالشعر الحسن بهجاء الناس وكثرة الطمع"(6) لذلك اشترط أن يكون للمديح

---

(1) النقد عند اللغويين في القرن الثاني الهجري، ص 163.

(2) ينظر العمدة 98/1.

(3) ينظر الأغاني 276/16.

(4) الأغاني 17/2.

(5) طبقات فحول الشعراء 121/1.

(6) الأغاني 2/ 170.

obeikandl.com

دوافع أبرزها الطمع وعلى هذا الأساس جعل الطمع معياراً للمفاضلة بين الشعراء الماضيين. ولم يشترط ذلك لشعراء عصره لأنهُ أشعرهم كما ذكر.

ومما نستنتجه من ذلك أن النقد في عصر صدر الإسلام بدأ بخطواتٍ واسعةٍ تطور خلالها النقد شكلاً ومضموناً غير أن عصر الرسول ﷺ مال إلى التوجيه في مضمون الشعر، ولم يعمل الجانب الجمالي والفنّي وكان تشجيعه الشعر والشعراء لضرورة عقائدية. أمّا عهد الخلفاء الراشدين (رضوان اللّه عليهم) فقد نحا النقد فيه منحى جديداً إذ غرس بذرة النقد الرئيسة متمثلة بالموازنة والمفاضلة والتفسير الذي أضاف بعداً دقيقاً علمياً للنقد أ صبح أساساً للدراسات ومتكأً للبحوث من عصر التدوين حتى يومنا هذا. فقد كان خلفاء بني أمية من أهل الفصاحة والبلاغة. وكانوا جميعاً يتذوقون الشعر ويتمثلون به ويدعون إلى رواية ما وافق الحق منه. وينهون عن رواية مالا يوافق الحق. ناهجين في ذلك نهج النبي ﷺ في نقده للشعر. ولا ريب في أن أحكامهم أسهمت في توجيه الشعر وجهة إسلامية وفتحت آفاق جديدة أمام النقد الأدبي.

ويروى أن كثيراً دخل على عبد الملك بن مروان فأنشده قصيدة كان قد مدحه بها:

على ابن أبي العاصي دلاصٌ حصينةٌ أجادَ المُسَدّى سَرْدَهَا وأذالها

يؤودُ ضعيفَ القومِ حملُ قتيرها ويستضلعُ الطَّرفُ الأشمُّ احتمالها

فقال عبد الملك: أفلا قلت، كما قال الأعشى لقيس بن معد يكرب:

كُنتَ المقدّمَ غَيَر لابسِ جُنّةٍ بالسيفِ تضربُ مُعْلِماً أبطالهَا

"فقال يا أمير المؤمنين وصفه بالخرق ووصفتك بالحزم".(1)

ويبدو أن عبد الملك فضّل صورة الفتى العربي في الشجاعة، تلك الصورة المنتزعة مما كانت تؤمن به العرب من أن الفتى الشجاع هو المقدام في الحروب دون دروع يتدرع بها. وعبد الملك يريد تلك الصفات البدوية التي خلفوها من قبل أبطال

(1) جمهرة أشعار العرب 1/ 108والأبيات في ديوان كثير غزّة، شرحه عدنان زكي درويش ص210، وديوان الأعشى، ص 83. وابن أبي العاصي :عبدالملك بن مروان ودلاحي: دروع، والمسدي النساج والقتير: رؤوس المسامير في الدروع.

الجاهلية يمدح بمثلها، " وروى صاحب الجمهرة أن عبد الملك بن مروان قال لكثّير: "من أشعر الناس اليوم يا أبا صخر؟قال:من يروي أمير المؤمنين شعره فقال عبد الملك: أما إنك لمنهم "[1].

وكان يقول في شعر كثير "أراهُ يسبق السحر ويغلب الشعر"[2] وفي الوقت نفسه فإنه "يخرج شعر كثيرٍ إلى مؤدب ولده مختوماً يرويهم إيّاه ويرددهُ"[3] وعندما أنشده الأخطل قصيدته "خف القطين وراحوا منك أو بكروا" قال ويحك يا أخطل "أتريد أن أكتب إلى الآفاق أنك أشعر العرب"؟ فقال: "أكتفي بقول أمير المؤمنين"[4].

وفي مجلس آخر من مجالس عبد الملك بن مروان سأل الخليفة من أشعر الناس؟ فقال الأخطل: أنا يا أمير المؤمنين.. فقال الشعبي: يا أخطل أشعر منك الذي يقول:

هـــذا غـــلامٌ حســـنٌ وجهـــهُ مستقبل الخير سريـــع التمـام

وأنشد ثلاثة أبيات أخرى. فقال عبد الملك: رددها عليّ، فرددها الشعبي حتى حفظها. فقال الأخطل: صدق والله النابغة أشعر مني[5].

وسأل الخليفة عبدُ الملك بن مروان الأخطل من أشعر الناس؟ قال: العبد العجلاني يعني تميم بن أبي مقبل قال: بم ذاك؟ قال: وجدته في بطحاء الشعر والشعراء على الحرمين، قال: أعرف ذلك له كرهاً[6].

وكانت للفرزدق آراء في شعر ماقبل الإسلام لم يظفر بها أحدٌ غيره، من هذه الآراء ما روي عنه أنه قدم الكوفة، ومرّ بمسجد لبني قيصر وسمع رجلاً ينشد قولاً للبيد وفيه:

"وجَلاَ السيولُ عن الطلول كأَنَّه زُبُـــرٌ تُجِـــدُّ متونَهـــا أقلامُهـــا

---

(1) الأغاني 30/9.

(2) م. ن 30/9.

(3) م. ن 71/8.

(4) الأغاني: 287/7.

(5) ينظر: أمالي المرتضى 16/1. والبيت في ديوان النابغة، ص 25.

(6) م.ن، ص 958.

فسجد الفرزدق، فقيل له: ماهذا يا أبا فراس؟ فقال: أنتم تعرفون سجدة القرآن وأنا أعرف سجدة الشعر"[1] وهذا يدل على منزلة بيت لبيد لدى الفرزدق.

أما امرؤ القيس فقد وقف عنده الفرزدق كثيراً، مما دفعه إلى أن يجيب عن أي بيت قالته الشعراء أفخر؟ بأنه قول امرئ القيس:

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني- ولم أطلب- قليلٌ من المالِ

ولكنني أسعى لمجدٍ مؤثلٍ وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

وقالوا له: فأيها أرقُّ؟ قال قوله:

وما ذرفت عيناك إلاّ لتضربي بسهميك في أعشار قلبٍ مُقتّلِ[2]

وحينما سألاه عن أحسن الأشعار، قال: قوله:

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العنّاب والحشف البالي

وذكر ابن سلام أن الفرزدق كان قد أجاب سائلاً عن أشعر الناس فقال: ذو القروح وعندما سأله السائل: وحين يقول ماذا؟ قال: حين يقول:

وقاهم جدّهم ببني أبيهمْ وبالأشقين ما كان العقاب

فالفرزدق - فيما يبدو- كان قوي البصيرة في نقد الشعر، إذ سعى في تفضيله امرأ القيس في الأغراض جميعها حتى أو صله إلى منزلة أشعر الناس محدداً حكمه في ذلك "وهو معيار فني في التقدير سواء كان التعبير يتضمن حكمة أم صورة واقعية أم فخراً وسلوكاً خلقياً"[3].

وروى عمر بن شيبه أخباراً نقدية عن الفرزدق منها: "قيل للفرزدق: أي بيت قالته العرب أحكم قال:

ما اشتمل على مثلين يستغني في التمثيل بكل واحد منهما على حدة عن صاحبه. قال: ثم أنشد قول امرئ القيس:

---

(1) الأغاني 360/15، مختار الأغاني 27/6، 340/9 وينظر: البيت في ديوان لبيد، ص434.

(2) ديوان المعاني 81/1 للاستزادة ينظر: حلية المحاضرة 328/1والأبيات في ديوان امرئ القيس، ص 39.

(3) ينظر: طبقات فحول الشعراء 52/1-53وينظر: العمدة 94/1-95 والبيتان في ديوان امرئ القيس، ص38.

obeikandl.com

الله أنجـــح مـــا طلبـــت بـــهِ   والـبر خـير حقيبـة الرحـــــل"[1]

ويـروى أن الفـرزدق وكـثّيراً قـد اجتمعـا في مجلـس في المدينـة في إمـارة أبـان بـن عثمـان " فبينمـا همـا يتناشـدان الأشـعارإذ طلـع عليهمـا غـلام شـحت رقيـق الأدمـة. في ثوبين ممصـرين، وقـال: أيكـم الفـرزدق فقـال لـه الفـرزدق: مـن أنـت لا أم لـك؟. قـال: رجل من الأنصار. ثم من بني النجار. ثم أنا ابن أبي بكـر بـن حـزم، بلغني أنـك تزعم أنك أشعرالعرب، وتزعمه مضر، وقد قال شـاعرنا حسـان بـن ثابت شـعراً فـأردت أن أعرضـه عليـك، وأؤجلـك سـنة، فـإن قلـت مثلـه فأنـت أشـعرالعرب، كمـا قيـل، وإلا فأنـت منتحـل كـذاب، ثـم أنشـده(ألـم تسـال الربـع الجديـد التكلمـا..) حتـى بلـغ إلى قول:

ولـدنا بـني العنقـاء وابـني محـرق   فـأكرم بنـا خـالاً وأكـرم بنـا ابنمـا

لنا الجفنـاتُ الغر يلمعنَ بالضَّحى   وأسـيافنا يقطـرن مـن نجـدةٍ دمـا

فقـال الفـرزدق: قاتـل اللّه الأنصـاري! مـا رميـتُ بمثلـهِ، ولا سمعـتُ بمثـل شـعرهِ فارقتكما فأتيت منزلي فأقبلت أصعد وأصوب في كل فن من الشعر: فلكأني مفحم أو لم أقل قط شعراً حتى نادى المنادي بالفجر، فرحلت ناقتي ثم أخذت بزمامها فقدتها حتى أتيت ذباباً (جبل بالمدينة) ثم ناديت بأعلى صوتي: أخاكم أبا لبنى وقال سعدان أبا ليلى: فجاش صدري كما يجيش المرجل. ثم عقلت ناقتي وتوسدت ذراعها: فما قمت حتى قلت مائة وثلاثين بيتاً" [2].

وفي هذا النص اعتراف ضمني أن الفرزدق لاقى مالاقى من معاناة ومكابدة على الرغم من أنه من فحول الشعراء ولم يعنه في ذلك سوى شيطانه كما ذكر ولعل مرور عام على طلب الأنصاري هو شهادة أخرى لتفوق حسان في ميميته التي أنشدها الأنصاري والتي كانت عرضة للنقد.

---

(1) الشعراء نقاداً، ص 101.

(2) ينظر الأغاني 21/372- 373 والقصيدة في ديوان حسّان، ص131وما بعدها. وشحت الضامر النحيف خلقه، وممصرين:مصبوغين بالمصر وهو مادة حمراء يصبغ بها.

غير أن في ذلك مبالغة لأن الفرزدق أنشد قصيدته اليوم الثاني، وأفحم به الأنصاري واستحسنها من حضر[1].ومما يروى عن الفرزدق أنه جاءه رجل من بني تميم فقال: قد قلت شعراً فانظر فيه، وأنشده، فقال الفرزدق: "يااابن أخي إن الشعر كان جملاً بازلاً عظيماً فأخذ امرؤ القيس رأسه وعمرو بن كلثوم سنامه، وعبيد بن الأبرص فخذه، والأعشى عجزه، وزهير كاهله، وطرفة كركرته، والنابغتان جنبيه وأدركناه ولم يبقَ إلاّ المذرع والبطون فتوزعناه بيننا فقال الجزّار: لم يبق إلاّ الفرث والدم فطبخه فأكله ثم خرأه، فشعرك من خرء الجزّار، فقال هذا رأيك، فوالله لاذكرته لأحد بعدك"[2].

فالتميمي وإن كان يقول الشعر إلاّ أن نقد الفرزدق له قد أفحمه وأسكته عن قول الشعر كما أن تشبيهه الشعر بجملٍ عظيمٍ يتقاسمه الشعراء من حيث المنزلة يعدُّ من النصوص النقدية المهمة في تلك الحقبة، فأنت تستطيع أن ترتب منزلة الشعراء من حيث الأفضلية على وفق ذلك الترتيب الذي أو جزه الفرزدق والذي يمثل رأيه النقدي لكنه لم يوفق في تقسيم أجزاء الجمل بعد نحره، إذ يحتل سنامه المرتبة الأولى وقد رأينا ذلك في نقد حسان حين سأله الرسول ﷺ.

و"هذا التقسيم للشعراء الجاهليين، إن دلَّ على شيء فأنما يدل على نظرة تقويمية، وتفاضل متفاوت،كتفاوت أجزاء الجمل، من حيث قيمتها الغذائية، ووفرة اللحم وحسنه فكل جزء من أجزاء الجمل ذكره الفرزدق يعطينا صورة تدريجية واضحة لتقديم الشعراء وتفاوتهم "[3].

وقيل إن أبا عمرو بن العلاء كان يقول: "أشعر الناس أربعة: امرؤ القيس والنابغة وطرفة ومهلهل"[4] ويروي المفضّل أن الفرزدق سئل يوماً عن أشعر الناس." فقال: امرؤ القيس أشعر الناس. وقال جرير النابغة أشعر الناس. وقال الأخطل: الأعشى

---

(1) ينظر م.ن 375/21.

(2) الموشح، ص 553.

(3) الشعراء ونقد الشعر منذُ الجاهلية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص56.

(4) العمدة 97/1.

obeikandi.com

أشعر الناس! وقال ابن أحمد: زهير أشعرالناس. وقال ذو الرمة: لبيد أشعرالناس. وقال الكميت عمرو بن كلثوم أشعر الناس.. وهذا يدل على اختلاف الأهواء وقلّة الاتفاق"[1].

وجاء في العمدة أيضاً أن الفرزدق سئل "مرّة من أشعر العرب؟ فقال: بشر بن أبي خازم. فقيل بماذا؟ قال: بقوله:

ثـــوى في مُلحَـــدٍ لابُـــدَّ منـــهُ كفـــى بـــالموت نأيـــاً واغترابـــا

ثم سئل جرير السؤال نفسه فقال: أشعر الناس بشر بن أبي خازم قال بماذا؟ قال بقوله:

رَهـــينَ بلـــى وكـــل فتـــى ســـيبلى فشـــقّي الجيـــب وانـــتحبي انتحابـــا

فاتفقا على بشر بن أبي خازم[2].

وقد ينسب الرأي النقدي إلى أكثر من شاعر، إذ نسب إلى نصيب وكثيّر والفرزدق أن أحدهم سئل عن أشعر العرب فأجاب "امرؤ القيس إذا ركب وزهير إذا رغب والنابغة إذا رهب والأعشى إذا شرب"[3]، والمقولة واضحة من حيث التفضيل فقد تفوق امرؤ القيس في وصف الفرس وزهير في غرض المديح والنابغة في الاعتذار والأعشى في وصف الخمر، فكل واحد منهم أشعر العرب في ذلك الغرض الذي قرن به، وقد تكررت تلك المقولة في آراء الشعراء والنقاد اللغويين من غير نسبة. غير أن اهتمامهم ركز على شعراء الطبقة الأولى من الجاهليين وقد تقاربت أحكامهم تقارباً يكاد يعطي الإحساس بتوارثهم لها غير أن امرأ القيس قد تفرد بالصدارة من دون منازع بدليل أن الأصمعي ما رأى"خمسة من العلماء...إلا وأربعة منهم يقدمون امرأ القيس ولا أربعة إلا وثلاثة منهم يقدمونه ""[4] ولا شك في أن النقاد قد أخذوا

---

(1) م.ن 97/1.

(2) ينظر: العمدة 95/1 والبيتان في الديوان 48 –49 والثواء: طويل المقام وعجز البيت الثاني: "فاذري الدمع وانتحي انتحابا".

(3) العمدة 95/1.

(4) محضرات الأدباء، الراغب الأصفهاني 47/1.

obeikandl.com

هذه التقدمة بالحسبان في موازنتهم بين الشعراء وقد حددوا معايير كثيرة لعل المبحث الثالث من فصلنا هذا يوضح كثيراً منها.

obeikandl.com

المبحث الثاني

ألقابٌ نقديةٌ ومصطلحاتٌ جاهلية

من الظواهر التي نستنبط منها وجود نقد في عصر ماقبل الإسلام ظاهرة ألقاب الشعراء، وقد عرف كثير من الشعراء الجاهليين بألقاب ارتأوها لأنفسهم أوفرضت عليهم ولصقت بهم، وقد فطن القدامى من المؤرخين والنقاد إلى هذه الظاهرة فأولوها عنايتهم واستقصوها(1) فالألقاب في هذه الحال لم تطلق اعتباطا طالما هي ارتبطت بأقوال الشعراء، ،ومن ثم كان في إطلاقها أبعاد فنيه وفي هذه الأبعاد ملمح نقدي مهم لأن العرب كانت تلقب الشاعربما يجيده،وفي هذا دلالة واضحة على أن الشعر الجاهلي فد نضج وصار فناً رفيعاً بدليل إطلاق الألقاب على الشعراء،فهذا المهلهل بن ربيعة سميّ "المُهلهِل لأن العرب غنّت بشعره، " وقيل إنّه أول من قصّد القصائد وقال الغزل"، وذكر الوقائع في قتل أخيه كليب، وفيه قال الفرزدق :" ومهلهل الشعراء ذاك الأول"(2)، والهلهلة سخف النسيج، وهلهل النساج الثوب:أرق نسجه وخففه،وشعرٌ هلْهَلٌ :رقيق، وهلهل فلانٌ شعره: إذا لم ينقحه، وأرسله كما حضره، وانتقلت اللفظة من دلالة مادية إلى دلالة معنوية وأختصت بالشعر، ويعود استعمالها بدلالتها الاصطلاحية إلى مرحلة مبكرة من العصر الجاهلي، وقد تكون أول لفظة معروفة أكتسبت دلالة اصطلاحية في ميدان الأدب وأصبحت أول مصطلح نقدي، وهذا يدل على أن نقاد الجاهلية يطلقون أحكاماً متنوعة على

---

(1) من هذه المصنفات كتاب محمد بن السائب الكلبي (ت 146هـ) ألقاب الشعراء الذي سماه ياقوت الحموي كتاب من قال بيت من الشعر فنسب إليه، ينظر: معجم الادباء 289/19.، ينظر:م.ن، 137/14. وكتاب ألقاب الشعراء ومن منهم يعرف بأمه لأبي جعفر بن حبيب البغدادي (ت 245هـ)، نشر ضمن مجموعة نوادرالمخطوطات 297/2 – 338. وكتاب من قال شعراً فسمي به للمدائني (ت 275 هـ) وكتاب من قال بيتاً فلقب به لأبي سعيد بن الحسن السكري (ت 275هـ) وخص الثعالبي فصلا من كتابه (لطائف المعارف) بألقاب الشعراء الذين لقبوا بأشعارهم، ينظر:الأغاني 113/17. وكتاب المذاكرة في ألقاب الشعراء لمجد الدين الشيباني الكاتب (ت 657هـ). وإذا تأملنا مصادر االشعر العربي ونقده لوجدناها طافحة بهذه الألقاب، وقد استكمل هذا الجانب الدكتور سامي مكي العاني في كتابه معجم القاب الشعراء.

(2) ديوان النقائض، أ بوعبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، 1 /176. وينظر :الشعر والشعراء 297/1.

الشعر في أيَّامهم تحوي فنّهم الشعري أو ما يتصل بذلك الفن من قريب أو بعيد ولذلك سميَّ الشاعر مُهلهِلاً. ولعل كثرة المصطلحات المستمدة من صنعة النسج كانت بسبب كون هذه الصناعة هي المعروفة في المجتمع البدوي والتي تلبي حاجاته الضرورية،وقد لبَّت صناعة النسيج حاجاتهم من المصطلحات.

وتاسيساً على هذا فرضت الهلهلة نفسها، وأصبحت مصطلحاً نقديّاً مستقلاً بذاته، وقال أبو عبيدة عن المهلهل"اسمه عدي،وسميّ مهلهلاً لهلهلة شعره كهلهلة الثوب،وقال فيه النابغة :

أتاكَ بقولٍ هَلْهَلِ النَّسْجِ كاذبٍ ولم يأتِ بالحقِّ الذي هو ناصِعُ" (1)

واستمرت لفظة الهلهلة مصطلحاً نقدياً من دون أن تتغير دلالتها، وقد ذكرها الأصمعي معلقاً على بيتٍ شعريٍّ للكميت" وزعم بأن البيت مُهلهل مصنوع محدث " (بر) وروي عن الأصمعي أيضاً بعد أن سمع شعراً"هذا شعرٌ مُهَلْهَلٌ خَلِقُ النسج" (تر)ووردت اللفظة بصيغة المفعول مما يدل على ورودها بصيغة الحكم.وكذلك تبعه ابن سَلاَّم فقد استعمل مصطلح "الهلهلة"بصيغاتٍ متعددة موضحاً مفهومها"وكان أول من قصّد القصائد المهلهل بن ربيعة التغلبي.. وإنماسُمَّيَ مُهلهِلاً لهلهلته شعره كهلهلة الثوب،وهو اضطرابه واختلافه"(يز).

ويبدو أن استعماله لصيغة المصدر قد رسّخ من ثبات المصطلح نظريَّاً فهو الاضطراب والاختلاف مما أكسبه شكل الحكم على صناعة الشعر قوة وضعفاً. واستعمل ابن قتيبة اللفظة بصيغة الفعل، وهويتحدث عن المهلهل بقوله: "مهلهلاً لأنهُ هلهل الشعر أي رّققه"(سم).فأصبحت الدلالة، في عرف ابن قتيبة ضعف الصنعة الشعرية، وفي الوقت نفسه فإنها تأتي ضد معنى الحبك، وهي لفظة مأخوذة من

---

(1) كتاب الزينة، ص 101، والبيت في ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم،ص35.وقوله:هلهل النسج:: أي أتاك بقول ضعيف باطل.

(2) الموشح، ص 308.

(3) زهر الآداب وثمر الألباب، الحصري القيرواني 419/2.

(4) طبقات فحول الشعراء 1/ 39.

(5) الشعر والشعراء 297/1.

obeikandi.com

صناعة النسج أيضاً. وقد استعملت لفظة " الهلهلة" بدلالتها اللغوية والاصطلاحية عند النقاد بعد القرن الثالث الهجري من دون أن يطرأ تغييرٌ على مدلولها عند النقاد السابقين(1). ويرى صاحب العمدة " إنما سمي مهلهلا لهلهلة شعره أي رقته وخفته وقيل لاختلاقه، وقيل بل سمي بذلك لقوله :

لما توغَّلَ في الكُراعِ شزيدهم هلهلت أثار جابراً أو صنبلا (2)

وهذا طفيل الغنوي وهو زيد بن مهلهل بن زيد إنما سمي بذلك لكثرة طراده للخيل، ومغاورته القبائل والأحياء وسمَّاه الرسول ﷺ زيد الخير(3). وكان "من أوصف الناس للخيل، وكان يقال له في الجاهلية المحبّر لحسن شعره"(4).

وهذا المرقّش الذي غلب لقبه على اسمه لتحسينه شعره وتنميقه(5)، وهذا النمر بن تولب سميّ "بالكيس لحسن شعره"(6)، وسمَّاه كعب الغنوي كعب الأمثال لكثرة ما في شعره منها(7).وكان علقمة يلقب بالفحل لجودة أشعاره(8). ومن الألقاب (عنترة الفوارس) وهو عنترة بن شداد.وإنما سميَّ عنترة الفوارس لكثرة ملاقاته فرسان العرب وإغارته على أَ حيائها. وكان فارساً(9).

---

(1) ينظر:عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، ص 5 والصناعتين، ص 6، والكشف عن مساوئ شعر المتنبي، الصاحب بن عباد 64وتاريخ النقد الأدبي عند العرب حتى القرن الرابع الهجري، ص 174.

(2) العمدة 86/1. ويروى لما توعر في الكلاب هجيتهم.. يعني بقوله هجيتهم امرأالقيس بن الحمام الذي ذكره امرؤ القيس في شعره حيث يقول: وكان مهلهل تبعه يوم كلاب ففاته ابن حمام بعد أن تناوله مهلهل بالرمح، وقد كان ابن حمام أغار على بني تغلب مع زهير بن جناب فقتل جابراً وصنبلا.

(3) المذاكرة في ألقاب الشعراء، أبو المجد أسعد بن إبراهيم الشيباني المعروف بمجد الدين النشابي، تحقيق شاكر العاشور، ص 42.

(4) الشعر والشعراء 453/1.

(5) م. ن، 297/1.

(6) م. ن، 309/1.

(7) معجم الشعراء، المرزباني، ص341.

(8) ينظر: العمدة 57/1.

(9) المذاكرة في ألقاب الشعراء،ص 42.

obeikandi.com

ومنهم (سليك المغانب) وهو سليك بن عمرو المعروف بابن السُّلكة وإنما سمي المغانب لأنه كان صاحب غارات، وأنشد:

وإذا تواكلتِ المغانبُ لم يزلْ بالقفر منَّا مقنبٌ معلومُ

وكان أيضاً يسمى رئبالاً. والرئبال: اسم السبع.(1)

إن هذه الألقاب في الحقيقة ماهي إلاَّ أحكَام نقدية تختفي وراءها معانٍ ودلالات كبيرة. فالعرب أدلت دلوها فإن أعجبت بشاعر ما لقبته. وقد وصل الأمرإلى أن لُقّبَ الشعراء بألقابٍ نسبت إلى بيت أو قصيدة من أشعارهم أو حادثة من حوادث الحياة المليئة بالصراعات. فهذا محصن بن ثعلبة بن وائلة من قبيلة نكرة سميّ المثقب العبدي لقوله:

رددن تحيّة وَكَنَّ أخرى وثقّبن الوصَاوصَ للعيونِ(2)

وهذا البيت من نونيته المطولة الرائعة التي مطلعها:

أفاطمُ قبل بينكِ متَّعيني ومنعك ما سألت كأن تبيني

حتى إن أبا عمرو بن العلاء استجاد هذه القصيدة فقال:

"لو كان الشعر مثلها لوجب على الناس أن يتعلموه"(3). وهذا دليلٌ على أن القصيدة من أجود قصائد الشعر العربي، ولا شك في أن المثقب أحد فحول شعراء الجاهلية، وهو شاعر قديم عاصر عمراً بن هند وكان قد مدحه بقوله:

غلبت ملوك الناس بالحزم والنهى وأنت الفتى في سورة المجد ترتقي

وإيَّاه عنى المثقب بقوله:

إلى عمرو ومن عمرو أتتني أخي الفعلات والحلم الرصيني

وإلا فاطّرحنّي واتخذني عدوّاً أتقيكَ وتتقيني

فإني لو تعاندني شمالي عنادك ما وصلت بها يميني(4)

---

(1) المذاكرة في أخبار الشعراء، ص 42.

(2) الشعر والشعراء 395/1، والبيت في الديوان57وصدره (ظهرن بكلّةٍ وسدلنَ رقماً والوصواص البراقع الصغار ارادا انهما حديثات الأسنان، فبراقعهن صغار والبيت في اللسان 374/8، 53.

(3) الشعر والشعراء 1/ 395.

obeikandl.com

وهذا شأس بن نهار سميّ بالممزق العبدي لقوله:

وإن كنت مأ كولاً، فكن أنت آكلي   وإلاّ فأدركنـــــي ولمّـــا أمـــزَّقُ[بر]

وكان يلقب الشاعر ثابت بن جابر بن سفيان بـ(تأبط شرّاً)، لأنه احتطبَ ذات ليلةٍ ثم انصرف بحطبه، فإذا فيه حيَّةٌ، فقال: إني كنتُ أتأبَّطُ شرّاً. وقال قومٌ أنه قتل الغولَ وتأبطها[تر] .

وقيل إنه تأبطَّ سيفاً وخرج، فقيل لأمه: أين هو؟ فقالت: لا أدري تأبط شراً وخرج[ير] وقيل: إنه تأبط شرَّاً لقوله:

تـــأبَّطَ شـــرّاً ثـــم راح أو اغتـــدى   يُوائمُ غنماً أو يسيفُ على ذهلِ[سم]

وكأن حسَّان بن ثابت الأنصاري ﷺ يلقب بالحسام، لأنه كان يبلغ بلسانه مبلغ الحسام، وقال فيه مزرِّد بن ضرار:

ولستَ كحسانِ الحسام بن ثابتٍ   ولستَ كشمّاخٍ ولا كالمخبَّلِ[شم]

وهناك من لقب من الشعراء بفعل فعل غلب على اسمه منهم (عدل الأصرّة) واسمه امرؤ القيس بن الحمام، وكان قديماً من الشعراء وهو أوّل من بكى الديار. وذاك قول امرئ القيس:

يا صاحبيّ قفا النواعجَ ساعـــةً   نبكي الديار كما بكى ابن حمام

---

(1) شرح ديوان المثقب العبدي،57 .61.

(2) ينظر :المذاكرة في ألقاب الشعراء، ص 24.

(3) ينظر م. ن،ص 45.

(4) ديوان تأبط شرَّاً، ص 6. وينتمي نسبه إلى قيس بن عيلان بن مضر بن نزار وأمه أميمة من قبيلة فهم. وقد تعددت الروايا ت وتباينت في تسميته بـ(تأبط شرّاً)

(5) ديوان تأبط شرَّاً، ص 6.

(6) م. ن 45 ينظر: طبقات فحول الشعراء1/1.5-1.6 1 /1 88 . 89، للاستزادة ينظر: الشعر والشعراء 156/1.والبيت في ديوان مزردبن ضرار، ص 81.

obeikandi.com

وإنما سمَّيَ (عدل الأصرة) لأن أمه ولدته في الإبل، فلمّا راحت جعلت عدل الأصرة على بعير من إبلها، فسمّيَ بذلك،. والأصرة: خيوط تشدُّ على أخلاف الإبل، إذا فلَّت ألبانها لئلا ترضعها فصلانها. واحدها: إصرار،وأنشد :

ما شم تودية الصرار فصيلُ [□].

ومن الشعراء (ذو الإصبع العدواني)، فاسمه حرثان بن حارثة بن محرث وهو شاعرٌ فارسٌ من قدماء الشعراء في الجاهلية وسمي (ذو الإصبع العدواني) لأن حيَّة نهشته في إصبعه. وقال قوم: إنه كان في أصابعه إصبعٌ زائدة [بر]،و قد أكد عبد الملك بن مروان في مجلسٍ أدبيٍّ له بالكوفة حضره رجال من قبيلة العدواني فسألهم عنه وعن تسميته فأنشدهم وأنشدوه شيئا من شعره وعن التسمية قال عبدالملك: نهشته في إصبعه حية، و كان قد قال :

عذيـــر الحـــي مـــن عـــدوا نَ كانـــــتا حيّـــة الأرض [تر]

وقد أورد مجد الدين النشابي فصولاً كثيرة للألقاب منها من غلب اسم أمه على اسم أبيه ومن نسب إلى أبيه من الشعراء وأسماء المعرقين من الشعراء.. إلى ما هنالك [ير].

وكان يلقّب الأعشى بـ"صناجّة العرب لأنّه كان شاعراً غنائياً معروفاً بجودة وصفه للخمر وقد كان أول من ذكر الصنج في شعره فقال:

ومستجيبٍ لصوت الصّنجِ تسمعهُ إذا ترَجِّع فيه القينةُ الفضلُ" [□]

---

(1) المذاكرة في ألقاب الشعراء،ص 48. للاستزادة ينظر: العمدة 87/1 والمزهر 456/2.والتودية: عمود يشد على رأس الخلف. ويروى اسم ابن حمام في صور أخرى منها: (ابن خذام) و(ابن خزام) وقد جاء في ديوان امرىء القيس :

عوجاً على الطلل المحيل لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن حذام

ينظر: ديوان امرىء القيس، ص 114.للاستزادة عن أخباره وشعره ينظر: دراسات في الشعر العربي القديم، أحمد محمد عبيد، ص 97 ـ 108.

(2) ينظر: المذاكرة في ألقاب الشعراء،ص 48.

(3) ينظر: المصون في الأدب، أبو الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق عبد السلام محمد هارون ص 166-167.

للا ستزادة ينظر: الأصمعيات، 72.

(4) ينظر م. ن، ص 49.51، 53.67.

obeikandi.com

وقد أخذ بهذا الرأي صاحب العمدة وأضاف إليه إنما سمي الأعشى "صناجة لقوة طبعه وحلية شعره " [1]، وقيل كانت العرب تسميه صناجة العرب، لأنه كان يغني في شعره. ويبدو من هذا أن بعض شعراء ما قبل الإسلام كانوا ينشدون قصائدهم بالغناء لأنهم يرون في الغناء وسيلة لإصلاح الشعر وتنبيه الشاعر على ما في شعره من عيب لكي يصلحه ويتجاوز ذلك الخلل العروضي. ويؤكد هذا قول حسّان بن ثابت:

تغنَّ في كل شعرٍ أنت قائِلُهُ إن الغناء لهذا الشعر مضمار [2]

وهناك دليل آخر على أن امرأ القيس كان يغني بشعره.

يقول أبو النجم لقينته أن تغنيه ببعض ماكان يغني به امرؤ القيس أو عمرو فقال:

تغنَّيْ فإن اليوم يوم من الصبا ببعض الذي غنّى امرؤ القيس أو عمرو [3]

وفي هذا دليل على أن شعر ما قبل الإسلام ارتبط بالغناء. لأن الغناء كان جزءاً لا ينفصم من تعلم الشعر لدى العرب، " ولعلهم من أجل ذلك عبرّوا عن إلقائهِ بالإنشاد ومنه الحُداءُ الذي كانوا يحدون به في أسفارهم وراء إبلهم، وكان غناءً شعبيّاً عاماً " [4] ويبدو أن هناك ارتباطاً بين نشأة الشعر و نشأة الغناء فهما " توأمان ولدا معاً، إذ كان الحافز لهذا هو الداعي إلى ذلك ولما كان الجمال المنبعث منهما له تأثير جميل على الأفئدة والأسماع، وعلى الغرائز والطباع غنى الإنسان الشعر غناءً. وبعد زمن أخذ كل فن منهما طريقاً خاصاً به ليؤدي رسالته حيث يجب أن يكون، فانفصل التوأمان وأخذ كل منهما أوضاعاً تناسبه فتطورت

---

(1) الشعر والشعراء 1/ 258 والبيت في الديون، ص 109 وصدره: (ومستجيبٍ تخال الصنج يسمعه).

(2) العمدة 131/1.

(3) ديوان حسّان، ص 280.

(4) ينظر: العمدة 241/2.

(5) تاريخ الأدب العربي (في العصر الجاهلي)، الدكتور شوقي ضيف، ص 191.

openkanar.com

أوزان الشعر، وتعددت آخذة سمتها المعروفة الآن"[1] ومن ثم " أصبح الغناء فناً قائماً بذاته، لا يحتاج إلى الشعر ولا يتوقف على أوزانه. وكذلك الشعر صار بإمكانه أن يصور خوالج الإنسان ويرسم أحاسيسه دون أن يقصد إلى الغناء "[2] ويبدو أن هذا الرأي غير موفق لأن الارتباط بين الشعر والغناء كالارتباط بين اللفظ والمعنى، ونحن نشاطر الدكتور الحاج رأيه في أن كل منهما قد أصبح فنّاً مستقلاً بذاته، وكان قد أشار بأنهما توأمان منذ النشأة فالتوأمان لكل واحد منهما شخصيته المستقلة، ولكن هناك نقاطاً للالتقاء التي تجمع بينهما وهي كثيرة على الأرجح.

وأمرٌ آخر يجب أن نذكره وهو كيف يجب أن يكون الغناء من دون أن يكون هناك شعرٌ، فالشعر هو المادة الرئيسة للغناء. كذلك الشعر لا يستطيع أن يستغني عن الغناء، وكثير من الشعراء الجاهليين يغنون شعرهم وينشدونه عند الإلقاء، فكان المهلهل يغني بشعره وهو يشرب الخمر والأعشى كما ذكرنا يغني بشعره فسمي صناجة العرب، وكذلك قول حسان فهذه الأمثلة لم ترتبط بالنشأة فحسب بل واكبت نضوج الشعر العربي ورقيه وبلوغه أعلى مراحله، ولا يعني أن ارتباط الشعر بالغناء محصوراً على العصر الجاهلي فحسب بل يشمل العصور كلها وحتى يومنا هذا.

ولربما عادت الألقاب عاراً على الشاعر أو القبيلة في عصر ماقبل الإسلام من نحو ذلك ما جرى لبني عبد المدان الذين بارك الله لهم بسعة الصدور وطول الأجسام وغلظتها، فكانوا يفخرون بذلك حتى هجاهم حسّان بقوله:

لاعيبَ في القومِ مِنْ طُوْلٍ وَمِنْ عظَمٍ جِسْمُ البِغَالِ وأحلامُ العَصَافيرِ[3]

(1) أدب العرب في عصر الجاهلية، ص 30.

(2) م. ن، ص 30.

(3) ينظر:ديوان حسّان، ص 178.

فما كان إلاّ أن ذهبوا إليه يسترضونه، فقالوا له يا بن الفريعة، كنا نفتخر على الناس بالعظم والطّول فعيّرتنا به وأفسدته علينا. فرد عليهم قائلاً: سأصلح ما أفسدت فقال:

وقد كنّا نقولُ إذا رأينا لذي جسم يعدُّ وذي بيانِ
كأنك أيها المعطى بياناً وجسماً من بني عبد المدانِ[1]

وبهذا المدح نالوا التقدير والمكانة الطيبة بين القبائل.

وإذا أنعمنا النظر في هذه الألقاب فإننا نجد فيها مايقودنا إلى تحديد معانيها الدقيقة بعدّها مصطلحات نقدية كانت تعكس مواقف فنيّة بعينها من شعر هؤلاءِ الشعراء الكبار. فإذا أخذنا النابغة الجعدي مثالاً وسبب تسميته بالنابغة يقول البغدادي: "إنه قال الشعر في الجاهلية ثم أقام مدّة نحو ثلاثين سنة لايقوله فإذا به ينبغ ويقول الشعر الجيّد لذا سميّ بالنابغة"[2] ولاريب في أن هذا القول ينطبق على بقية الألقاب. وهذا النابغة الذبياني الذي غلب لقبه اسمه لنبوغه في شعره "إذ نبغ بالشعر بعدما احتنك"[3] ويقال سميّ بالنابغة لنبوغ شعره وجودته وذلك لأن مدّة قوله الشعر اتسمت بالنضج الفكري والمعرفي وبسعة اطلاعه وتذوقه للشعر، فقد قال فيه ابن رشيق "إن شعره كان نظيفاً من العيوب"[4] ويقال إنه لقب بالنابغة لقوله:

وحلّت في بني القينِ بن جسْرٍ فقد نَبغتْ لنا منهم شؤون[5]

بيد أنه يرجح أن النابغة لقب نقدي بدليل ما أورده صاحب العمدة "وكان جرير نابغة الشعر مظفراً"[6] فلقب النابغة يدل على جودة شعره فالنابغة لقب نقدي يطلق على جودة شعر الشاعر وإنشاده بين الناس وتدفقه وغزارته وغير ذلك.

---

(1) ينظر: م. ن، ص 180.
(2) ينظر: خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي 119/2.
(3) الشعر والشعراء ابن قتيبة 157/1.
(4) ينظر: العمدة 205/1.
(5) ينظر: العمدة 205/1 والبيت في ديوان النابغة الذبياني، ص 256. وبتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ص218. وبنو القين:بنو قضاعة.
(6) العمدة، 181/2.

مصطلحات نقدية:

ومن المصطلحات التي عرفها العرب الجاهليون الغلو والمبالغة في الإفراط والصدق والكذب، وقد يأتي الغلو بمعنى الإفراط في المبالغة كما جاء في لسان العرب: أفرط الأمر جاوز حده[□]، وقد وردت لفظة الغلو بدلالتها المعنوية لتدل على المبالغة في الأمر وتجاوز الحد في قول عوف بن الحوص الكلابي :

وما أن خلتكم من آل نصرٍ ملوكاً والملوكُ لها غلاءُ

و من ثم انتقلت إلى المعنى الاصطلاحي فأصبح معنى الغلو: في الوصف والتشبيه وإيراد المعانى، إذ إن الغلو: تجاوز حدَّ المعنى والارتفاع فيه إلى غاية لايكاد يبلغها" وبهذا يكون معناه عدم الصدق في وصف حقيقة الشيء والكذب فيه باستخدام المبالغة والتخييل في التصوير، ومن أبيات الغلو عند الجاهليين وأكذبها في نظر النقاد قول المهلهل:

كأنَّ غُدوة وبنو أبينا بجنب عنيزة رحياً مديرُ

فلولا الريح أسمع من بحجرٍ صليل البيض تقرع بالذكورِ[بر]

فقد كان بين حجر. وهي قصبة باليمامة . وبين عنيزة محل الوقعة التي قيلت فيها هذه القصيدة مسيرة عشرة أيام وهذه من المبالغات وهذا ما يمتنع تصديقه عقلاً وعادةً، و" قد عد بسبب إكثاره من الغلو في شعره أول من كذب في شعره "[تر]. وعن البيت نفسه قال الجاحظ: " فأما من أفرط في شعره فقول المهلهل فلولا الريح أسمع من بحجرٍ.."[ير].

---

(1) ينظر: لسان العرب مادة: فرط.

(2) الكامل في التاريخ لابن الأثير 319/1.

(3) ا تاريخ النقد الأدبي عند العرب، الدكتور عبد العزيز عتيق، ص 24.

(4) الحيوان 115/2. ويروى أن امرأالقيس كان أول من تأثر بخاله المهلهل بن ربيعة في المبالغات الشعريه في قوله:

تنوعتها من أذرعاتَ وأهلها بيثرب أدنى دارِها نظر عالِ

وقد فاضل النقاد بين بيتي المهلهل وامرىء القيس فقالوا: إنَّ مهلهلاً أشدُّ غلواً من امرىء القيس لأن حاسة البصر أقوى من حاسة السمع وأشدُّ إدراكاً.

obeikandi.com

وكان ابن وهب قد قال عن المبالغة: " وأما المبالغة فإن من شأن العرب أن تبالغ في الوصف والذم "[□] ومثل ذلك قول زهير بن أبي سلمى :

لو كانَ يقعدُ فوق الشمس من كرمٍ ... قومٌ بأولهم أو مجدهم قعدوا[بر]

ففي هذا البيت إفراطٌ ومبالغة وقد رأى أبو هلال العسكري أنه " بلغ ما أراد من الإفراط، وبنى كلامه على صحته "[تر] ويقصد بصحته أنه قيد الإفراط بلفظ (لو)، فقد رأى صاحب العمدة أن أحسن المبالغة ما نطق فيها الشاعر (بلو)[ير].

ومن هذا القبيل يروى أن رجلاً قال لزهير:" إني سمعتك تقول لهرم:

ولأنتَ أشجع من أسامة إذ ... دُعِيَتْ نزالِ ولُجَّ في الذُّعرِ

وأنت لا تكذب في شعرك، فكيف جعلته أشجع من الأسد ؟ فقال: إني رأيته فتح مدينة وحده، وما رأيت أسداً فتحها قط !! وقد علق صاحب العمدة على هذا الخبر بقوله :فقد خرَّج زهير لنفسه طريقاً إلى الصدق وعدا عن المبالغة"[سم] وعن صدق زهير، ومكانته الشعرية قال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﵁ " لا يتبع حوشي الكلام، ولا يعاظل من المنطق ولا يقول إلاّ ما يعرف، ولا يمدح الرجل إلا بما يكون فيه"[شم] وقال:"وما ذاك إلا لتنقيحه شعره وترداد نظره في كلامه"[له] أليس الذي يقول:

إذا ابتدرت قيسُ بنُ عَيْلاَن غايةً ... من المجد مَنْ يَسْبِقْ إليها يُسوَّدِ
سَبَقْتَ إليها كلُّ طَلْق مُبرّزٍ ... سبوقٍ إلى الغايات غير مزنّدِ
كفَضْل جَوَادٍ يَسْبِقُ الخيل عَفْوُه السـ ... ـراع وإن يجهدْنَ يجهدْ ويبعدِ

---

(5) البرهان في وجوه البيان، ص 152.

(1) ا شرح ديوان زهير، ص 282.

(2) كتاب الصناعتين، ص 387. للاستزادة ينظر: البرهان في وجوه البيان، ص 154.

(3) ينظر: ا العمدة 2 / 64.

(4) ا م. ن 98/1. 99.

(6) الأغاني 239/10 للاستزادة ينظر العمدة 98/1 ودلائل الإعجاز 594 المذاكرة في ألقاب الشعراء: 55.

(7) تحرير التحبير:402.

ولو كان حمدٌ يخلد الناس لم يمت ولكن حمد الناس ليس بمخلدِ

وكان كل هذا مقتطعاً من حوارٍ نقديٍّ مهمٍّ مع عبدالله بن عباس ﷺ"(1).

إن تأكيد عمر لأهمية الصدق في الشعر هو تأكيد قيمة من قيم الإسلام، وما رأيه النقدي الذي فضّل به زهيراً وهو أنّه لا يتبع حوشي الكلام إلا تأكيد أهمية كون الشعر سلساً سهلاً ممتنعاً يفهمه السامع ولاسيما في تلك المرحلة التي أريد من الشعر أن يكون معلّماً للأخلاق ناشداً للقيم.

أما الكلام عن المبالغة في الشعر فقد تطرق إليها النقاد القدماء ومنهم ابن رشيق القيرواني في قوله: " ومنهم من يؤثرها ويقول بتفضيلها، ويراها الغاية القصوى في الجودة، وذلك مشهور "من مذهب نابغة بن ذبيان، وهو القائل أشعرالناس من استجيد كذبه..... ".(2) وقد روى الجاحظ أنه سمع " شيخاً من مزينة يقول: لو لا الذي كان من زهير من الفحش في هجاء بني أسد... لما كان في الأرض أتم مروءة شعر، ولا أقصد ولا أقل تزيُّداً من زهير ؛ لأنه وصف الملوك والسوقة والفرسان والسادة بالذي يكون فيهم."(3) وقد ذكر قدامة بن جعفر مصطلح الغلو في باب نعوت المعاني بقوله : " إن الغلو عندي أجود المذهبين وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً وقد بلغني بعضهم أنه قال: أحسن الشعر أكذبه"(4)، وأضاف مؤكداً ربط مفهوم المصطلح بالمبالغة: "وكل فريق إذا أتى من المبالغة والغلو بما يخرج عن الموجود ويدخل في باب المعدوم فإنما أراد به المثل وبلوغ النهاية في النعت" (سم)، و من الشعراء الفحول الذين أدركوا هذا المعنى وأفصح عنه في شعره حسان بن ثابت فقد جمع هذه المصطلحات الثلاثة في قوله:

وإنّ أشعربيتٍ أنت قائلهُ بيتٌ يقال إذا أنشدته صدقا

---

(1) الأغاني 290/10 والأبيات في شرح ديوان زهير 235-236 وفي البيت الأخير فلو كان.

(1) م. ن 57/1.

(2) البرصان والعرجان، ص 78.

(3) نقد الشعر، ص 62.

(4) م. ن، ص 66.

obeikandl.com

وإنمـــا الشـــعر لـــبُّ المـــرء يعرضـــهُ   على المجالس إن كيساً وإن حمقا[□]

وقد كان الميزان الذي" يزن به الشعر يتمثل في مدى مطابقته للحق أو عدم مطابقتـه" [بر]. وقـد تفاوتـت آراء النقـاد في تلـك المصـطلحات فقـومٌ يـذهبون إلى أن أحسن الشعر ماكـان مطابقاً للصدق وموافقاً للوصف. وماكـان للحق أشبه وإلى الصواب أقرب، وهذا يتطابق مع قول حسان. في حين " يختار قوم ضد هذا المذهب ويذهبون إلى أن الغلو في قول الشعر أصوب، وأن الإبلاغ فيه أوجب والإفراط فيه أحسن حتى قال بعضهم: إن أحسن الشعر أكذبه" [تر]، وقد قال الحاتمي : " وجدت العلماء بالشعر يعيبون على الشاعر أبيات الغلو والإغراق ويختلفون في استحسانها واستهجانها، ويعجب بعض منهم بها وذلك على حسب ما يوافق طبعه واختياره" وقد اختلفت المذاهب في قضية اختيار الشعر تبعاً لاتساع مجال الطبع فيها، وتشعب مراد الفكر فيها فآراؤهم فيها متفاوتة وأهواؤهم مختلفة" فمنهم من لا يميل إلاّ إلى ما سهل وانقاد، وذلل على اللسان عند استماعه على المراد. ومنهم من لا يميل إلى ما انغلق معناه وخفي غرض قائله فيه ومغزاه وصعب استخراجه وتعذر، فلم ينقد إلا بعد طول فكر ونظر وهم أصحاب المعاني "[ير] فهذه جميعها لا تخرج عن قضية وضوح المعنى وصدقه " وقد ذهب أكثر المحدثين على أن أحسن الشعر ما كان أكثر صنعة، وأن يتوخى من البلوغ في تجويده النهاية المطلوبة.."[سم] من المعروف أن هناك مؤثرات كثيرة على استجادة الشعر وتتباين من شاعر لآخر وعلى هذا نلمح التباين في الشعر الجاهلي واضحاً بل إن التباين يظهر في أسلوب الشاعر نفسه فهناك أسباب أثرت في أسلوب الشاعر ومعانيه منها ما يتعلق بالبيئة المكانية،

---

(5) ديوأن حسَّانَ بن ثابت، ص 277.

(1) في النقد الأدبي، الدكتور مبارك حسن خليفة،. ص 21.

(2) قضايا النقد الأدبي في مقدمة شرح حماسة أبي تمام، عبد العزيز بن عبد الرحمن الشعلان، ص33.

(3) قضايا النقد الأدبي في مقدمة شرح حماسة أبي تمام، عبد العزيز بن عبد الرحمن الشعلان، ص33.

(4) قضايا النقد الأدبي في مقدمة شرح حماسة أبي تمام، عبد العزيز بن عبد الرحمن الشعلان، ص33.

ومنها ما يتعلق بأثر البيئة الخاصة في الشعر، فضلاً عن أثر البيئة الاجتماعية الجاهلية وعاداتها وتقاليدها، وفوق هذا كله تأتي قدرة الشاعر وموهبته وجودة صنعته وصدق عاطفته وقوة إحساسه، ومدى انفعاله بموضوعه وغيرها من الأسباب التي تجعلنا نتخذ جودة النص الشعري معياراً نقدياً مهماً عن طبع الشاعر وفطرته، ولكن الناس متفاوتون في طبائعهم فهذه المصطلحات ـ من دون شكٍ ـ تعبر عن دلالاتٍ خاصة. غير أن " صدق الأديب يتجلى في مثاليته كما يتجلى في تصويره لما حوله تصويراً إنسانيّاً. وفي كون تجربته صورة لفكره وذاتيته ومثله لا لواقعه الذي يحيط به، من تقاليد وتعبيرات مأثورة، أوغير مألوفة عندما تخرج أحياناً عن المألوف في تصنع وتكلف، لهدف الإبداع لا الصدق الفني، الذي يستلزم إيماناً بالتجربة في معانيها الإنسانية وهو في هذا يتلاقى مع الصدق الخلقي غير التقليدي. وصدق الفنان أمر جوهري لتقدم الفن نفسه، وصدق الأديب في أدبه يهب لأدبه قيمة خالدة، وهذا نجده في العاطفة وصدقها أو صحتها لوجود الداعي الأصيل، الذي يهيج الانفعالات الأصيلة الصحيحة التي تجعل الأدب مؤثراً في سامعيه، ومن هذا ماقيل لأعرابي: ما بال المراثي أجود أشعاركم ؟ قال: لأننا نقول وأكبادنا تحترق"(1).

ومما لا ريب فيه أن العرب منذ عصر ما قبل الإسلام اصطلحوا على كثير مما يدور في حياتهم من أفكار ومحسوسات نتجت عن ألفاظ استعملت في حياتهم العامة فنقلوا دلالاتها إلى دلالات خاصة فأصبحت أعرافاً اصطلحوا عليها معبرين عن أفكارهم وحياتهم آنذاك في النواحي كافة وأخذت الحياة الأدبية نصيب الأسد من ذلك. ومن المصطلحات الأخرى (التوعر) الذي جاء في بيت النابغة:

(1) النظرية النقدية عند العرب، الدكتورة هند حسين طه، ص 206 . 207 والعبارة الأخيرة ينظر البيان والتبيين 2/ 320 للاستزادة ينظر: النقد الأدبي عند العرب أصوله وقضاياه، حفني شرف، ص 166 . 167.

obeikandl.com

جَاوزتُــــــهُ بِعَلَنْـــــداةٍ مناقلــــــةٍ وعر الطريق على الحّزان مضمارِ[□]

والحق أننا نجد في أخبار العصر الجاهلي ما يدل على معرفة العرب بمعاني هذه المصطلحات، إذ وردت هذه المصطلحات في أشعارهم وهذا ما اتفق عليه المشككون وغيرهم فليس غريباً أن يكون العرب قد عرفوا العروض والروي والقافية وعيوبها (الإقواء، والسناد والإكفاء). وهذا ما يحسب للشعراء والنقاد، إذ استخدموا " تلك المصطلحات بعد أن نقلوها من دلالتها الوضعية إلى تلك الدلالة، وكان ذلك قبل إن يضع الخليل بن أحمد شيئاً من علم العروض"[بر].

ولا ريب فقد عرف العربي عدداً من المصطلحات التي ما زلنا إلى يومنا هذا نعتمدها وسنقف على بعض منها للتمثيل لأهميتها ولأنها قريبة من تلك المصطلحات التي اشترطتها أم جندب ومآخذ أهل يثرب على النابغة.

ومن المصطلحات النقدية التي يمكن أن نستشفها من الأبيات الشعرية: الإِغلاق وجاء ذلك في قول زهير:

وفارقتــــكَ بـــرهنٍ لا فِكـــاكَ لَـــهُ يــوم الــوداع فأمسى رهنها غلِقا[تر]

فيقال: أغلق عليه أمره إذا لم يتضح ولم ينفتح من ذلك قولهم غلق الرهن أي لم يوجد له تخلص وهو ما حمله لنا معنى بيت زهير. وعلى هذا يكون الغلق ضد الفتح، ويستمد مفهومه في الاصطلاح النقدي الأدبي من دلالته اللغوية فيكون النص الأدبي شعراً أو نثراً غير واضحٍ ومنفتح أمام المتلقي وتتجدد هذه المسألة في المعنى أكثر من أي شيء آخر.

وقد ورد مصطلح الإغلاق عند ابن سَلاَّم[ير].

---

(2) ينظر: جمهرة أشعارالعرب، أبو زيد القرشي 1/ 114 والبيت في ديوان النابغة، ص 291 وعجزه(ودعت الطرق على الاحزان اصرار). والوعر في اللغة ضد السهل.والوعر هو الجبل. وتوعر الرجل: تشدد وفي الكلام: توعر تحير.فاللفظ الوعر هو اللفظ الصعب.

(2) دراسات نقدية في الأدب العربي لغاية القرن الثالث الهجري، ص 67.

(3) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى صنعة ثعلب، 23.الرهن: أي أنها سلبت قلبه وأرهتنه.غلقا:لا منجى منه ولا مهرب.

(4) طبقات فحولة الشعراء،ابن سلام 79/1.

Obeikandi.com

ومثل ذلك مصطلح (الشاعِرُ الثنيَان) والثنيان بمعنى العاجز الواهن[1] عند ابن سَلاَّم وأضاف إليه ابن رشيق "الثنيان الذي ليس بالرئيس، بل هو دونه"[2] وقد جاء هذا المصطلح في قول النابغة الذبياني:

يَصُدُّ الشّاعِرُ الثُّنيانَ عنّي ... صُدُود البِكر عن قَزْم هجان[3]

ومن المصطلحات النقدية الجاهلية (المُقحَم)[4] وهو "الذي يقتحم سناً إلى أخرى وليس ببازل ولا المستحكم"[5] وقد جاء ذلك في قول أو س بن حجر:

وقد رام بحري قبل ذلك طامياً ... من الشعراء كل عَودٍ ومُقْحَمِ[6]

لا يعني أن الأمر اقتصر على الشاعر بتلك الصفات والمزايا المهمة بل إن مصطلح (شويعر) يحتل مرتبة أدنى من كل ذلك، وهناك من سميّ من الشعراء بالشويعر منهم محمد بن حمدان بن أبي حمدان وقد سمّاه بهذا الاسم امرؤ القيس في قوله:

أبلغا عنّي الشويعر أنني ... عَمْدُ عينٍ نَكَبتهنّ حديما[7]

وهناك شاعر آخر يسمّى (المفَوَّف) من بني ضبّه وقد سمّاه الممزق العبدي (الشويعر) تصغيراً لشأن خصمه فقال:

ألا تَنهى سراة بني حَمِيسٍ ... شويعرها فويلية الأفاعي[8]

---

(1) م. ن، 79/1.

(2) العمدة 118/1. وفي مكان آخر يرى أن مصطلح " الثنيان" هو الشاعر ابن الشاعر.ينظر م. ن، 308/2.مما يدل على أن فكرة النسب والانتماء وغيرها من الصراعات القبلية كانت نتائج القيم الاجتماعية التي انتقلت بعض دلالاتها إلى ميدان الأدب.

(3) ديوان النابغة الذبياني، ص 112 كذلك ورد هذا المصطلح في قول أوس بن مغراء:
ثنياننا إن أتاهم، كان بدْأهمُ ... وبدؤهم إن أتانا كان ثنيانا.

(4) ينظر: لسان العرب مادة قحم المقحم البعير الذي يربع ويثنى في سنة وأحدة فيقحم سناً على سن قبل وقتها إذا ألقى سنية في عام واحد فهو مقحم.

(5) ينظر: طبقات فحول الشعراء 79/1 والعمدة 118/1.

(6) طبقات فحول الشعراء 79/1 والعمدة 118/1 والبيت في ديوان أوس بن حجر، ص 123.

(7) ينظر: البيان والتبيين1/2. والعمدة202/1 والبيت في ديوان امرئ القيس، ص 476.

(8) العمدة115/1 لم اعثر على البيت في ديوان الممزق.

obeikandl.com

وهـذه المصـطلحات تعـددت في تلـك البيئـة وتنوعـت، ويـرى الجـاحظ أن في بيـوت الشـعر الأمثـال والأوابـد ومنهـا الشـواهد والشـوارد والشـعراء عنـدهم أربـع طبقـات: فأولهم الفحل الخنذيذ. والخنذيذ هو التام.

قال الأصمعي: "قال رؤبة الفحولة هم الرواة ودون الفحل الخنذيذ الشاعر المفلق ودون ذلك الشاعر فقط. والرابع الشعرور"(1).

ويروى أن حواراً نقدّياً جرى بين امرئ القيس والتوأم اليشكري، إذ قال امرؤ القيس: إن كنت شاعراً فملّط أنصاف ما أقول فأجزها، قال نعم.

قال امرؤ القيس: أحارِ ترى بريقـاً هبّ وهنا

فقال التـــوأم: كنارِ مجوسٍ تَسْتَعِرُ استِعارا

فقال امرؤالقيس: أرقــت له ونام أبوشريـحٍ

فقال التـــوأم: إذا ما قلـت قد هدأ استطارا

قفال امرؤ القيس: فلم يتركْ بذاتِ السّـرِّ ظبياً

فقال التـــوأم: ولـم يتــركْ بجهلتِها حمارا

ولا يزالان هكذا يصنع قسيماً هذا، وهذا قسيماً إلى آخر الأبيات(2).

وعلق الدكتور صالح الصائلي على هذا النص بقوله:"ولا غرو في ذلك.. فقد سجل هذا النص حضوراً زمنيًّاً أكثر مما اختير لهذا الشاعرمن شعر فيما بعد، إذ ورد ضمن نصوص الإختيارالأول المتوافر من الشعر الجاهلي "المعلقات"الذي وجه بدوره إلى بقية ما تهيّأ من هذا الشعر عامة"(3).

وإذا أنعمنا النظر في تلك المساجلة فإنها تقودنا إلى مفهوم لمصطلح نقدي عرفه نقاد ما قبل الإسلام وهو "التمليط" والذي سماه الخطابي المعارضة، وأحد وجوهها "أن يتبارى الرجلان في شعر، أو محاورة، فيأتي كل واحد منهما بأمرٍ محدث من وصف ما تنازعاه، وبيان ما تباريا فيه،

---

(1) البيان والتبيين 9/2 وبعض العلماء يقول :طبقات الشعراء ثلاث: شاعر، وشويعر، وشعرور،.ينظر: م.ن،1/2.

(2) ديوان امرئ القيس، ص 14. وينظر شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها. ص 15.

(3) الأتجاهات الفنية في رواية الشعر الجاهلي"رسالة دكتوراه "، ص 114.

يوازي بذلك صاحبه أو يزيد عليه ويفصل بينهما حكم لبيان فضل أحدهما على الآخر"[4] وقد ذكر مساجلة امرئ القيس والتوأم مثالاً لذلك.ورأى صاحب العمدة أن مفهوم التمليط هو "أن يتساجل الشاعران في أن يصنع هذا قسيماً وهذا قسيماً لينظر: ايهّما ينقطع عن صاحبه"[2]. وهناك مصطلحات أخرى ذكرها الشاعر الجاهلي في شعره،ونوجز ذكر بعضها للإيضاح :

المتأخر والمتقدم:

ففي اللغة معروفٌ معناها ويدل على الزمان والمكان إلا أن الدلالة الاصطلاحية في ميدان الأدب العربي ونقده اختصت بالزمان لحاجة النقاد لدلالة اللفظة في قضية الصراع بين القديم والحديث.وقد قال الشاعر الجاهلي الحصين بن الحمام:

تأخرتُ استبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياةً مثل أن أتقدَّما [3]

وقد استعملت اللفظة بدلالتها اللغوية المكانية عند النحويين في موضوع التقديم والتأخير. وقد استعمل النقاد اللفظة مصطلحاً نقدياً مهماً وشغل حيّزاً واسعاً في الدراسا ت النقدية.

الجديد والحديث :

وعن الجديد والحديث يقول عمرو بن قميئة:

إذا ما رآني الناسُ قالوا: ألم تكن حديثَاً جديد البزِّ غير كهام[2]

وقال صاعدة بن جفية الهذلي:

أهاجت مغنى دمنةٍ ورسومُ لقيلةَ منها حادثٌ وقديمُ [2]

---

(4) بيان إعجازالقرآن، ص 58.

(2) العمدة 91/2.

(2) ديوان الحماسة، أبوتمام،62.للاستزادة عن هذا المصطلح ينظر: الشعر والشعراء 1/ 59، 62 . 63، ونقد الشعر، ص 189.

(3) ديوان عمرو بن قميئة 39. وفي الشعر والشعراء ورد عجز البيت جديداً حديث السن377/1.

oberkandi.com

ومن كل هذا يتبين قدرة الشعراء الجاهليين على انتقاء الألفاظ التي استعملها القدماء مصطلحات نقدية مهمة وقد بينا كيف انتقلت بعض ألفاظ المصطلحات من الدلالة المادية إلى الدلالة المعنوية، فضلاً عن تأثير الحياة الجاهلية على الشعراء في إنضاج مصطلحاتٍ كثيرة.

وقد يطول أمر الحديث في طبيعة استحضار القدماء للمصطلحات النقدية التي عرفها العربي في عصر ما قبل الإسلام، إلا أننا أرتأينا الإيجاز على نماذج بعينها لتكون شاهدة على أن العربي لديه القدرة على استنباط الأحكَام والمصطلحات، إذ لم يخلُ ديوان شعري واحد من ذكر مصطلح أو مصطلحين أو أكثر وهذا يعود إلى ثقافة الشاعر نفسه. وهدفنا من ذكرهذه الشواهد إزالة الشك عن بعض المشككين في ثقافة ذلك العصر.

وقد أثبتت ذلك دراسات علمية حديثة خصصت لتلك المصطلحات[2]. ولا ريب في أن ذكرنا لتلك المصطلحات ما هو إلا تاكيد على معرفة العربي بها، وهذا هو في الأساس ملمحٌ نقديٌّ مهم كان له أثره الفعال في تكوين النظرية النقدية عند العرب.

---

(4) ديوان الهذليين 227/1. للا ستزادة ينظر: البيان والتبيين 2/ 318، ونقد الشعر،40 / 63، وطبقات الشعراء لابن المعتز، 24، وعيار الشعر، 45،والعمدة 90/1.

(2) منها: المصطلح النقدي في (نقد الشعر) للدكتور إدريس الناقوري، ومصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للشاهد البو شيخي، ومعجم المصطلحات الأدبية المعاصرة لسعيد عوض، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها للدكتور أحمد ملوب ومعجم النقد العربي للدكتور أحمد مطلوب، ومعجم النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين للدكتور الشاهد البو شيخي، وتطور مصطلح التخييل في نظرية النقد الأدبي عندالسجلماسي لهلال الغازي، ومقدمة في علم المصطلح، علي القاسمي وفضلا عن دراسات نقدية جامعية تناولت المصطلح النقدي تصدرت جامعة الموصل تلك الدراسات، إذ قام بعض الباحثين بدراسة بعض المصطلحات منها: المصطلح النقدي في كتاب العمدة لإبراهيم محمد محمود الحمداني، والمصطلح النقدي في منهاج البلغاء وسراج الأدباء لزيد قاسم ثابت. وكذلك في جامعة بغداد قامت بعض الدراسات أبرزها: مصطلحات نقدية أصولها وتطورها حتى نهاية القرن السابع الهجري لعلي خير الله السعداني وتطورالمصطلح النقدي العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري. وملمح النظرية التراثية لعلم المصطلح عباس عبد العليم مجلة اليرموك الأردن العدد 30، 1990.

openkandil.com

المبحث الثالث

فحول الشعراء وطبقاتهم

ومن المصطلحات التي عرفها العربي في هذا العصر مصطلح (الفحولة)،والفحل لغةً: اسم مشتق من فحل فحالة وفحولة وهوالذكر من كل حيوان. وترتبط بذكر الإبل بالدرجة الرئيسة،ويقال:فحلت إبلي إذا أرسلت فيها فحلاً ليضرب فيها، وقد بنيت عليه دراسات كثيرة منذ بداية القرن الثالث الهجري حتى العصر الحاضر(1) ودليلنا على أن لهذا المصطلح أصل في عصر ما قبل الإسلام وروده في عدد من النصوص الشعرية فقد جاء في قول المهلهل:

انبضوا معجس القسي وأبرقنا كما توعد الفحول الفحولا(2)

وقال زهير:

إلى معشرٍ لم يورثِ اللؤمَ جدُّهم أصاغرهم وكل فحلٍ له نجلُ(3)

وقد لقب علقمة بالفحل لأنه غلب امرأالقيس في الشعر كما رأينا، وهذا هو في الأساس لقب فني.وقد ذكر الشعراء الجاهليون هذا المصطلح في شعرهم فالسموأل يقول:

---

(1) بدأت بكتاب الأصمعي فحولة الشعراء، ثم ابن سَلاَّم طبقات فحول الشعراء، ويرد هذا المصطلح في مصادر الأدب العربي ونقده: ينظر الشعر والشعراء 27/1. والموشح 59 والعمدة 56/1.

(2) ديوان المهلهل.

(3) ديوان زهير 10، قول الأعشى: وكل أناسٍ وإن أفحلوا إذا عاينوا فحلكم بصبصوا.والبيت في الديوان، ص 419. والمغلب مصطلح نقدي يوصل الشاعر إلى الفحولة، وكان قد استعمله امرؤ القيس في قوله.

وإنك لم يفخر عليك كفاخر ضعيفٍ ولم يغلبك مثل مُغلَّب

وفكرة الشاعر المغلب ظلت متداولة عند العرب منذ أن أصَّلَ لها امرؤ القيس حتى يومنا هذا. ومن النقاد الذين تطرقوا لهذا المصطلح الأصمعي بقوله :" أشعرالناس مغلبو مضر حميد والراعي وابن مقبل، فأما الراعي فغلبه جرير ينظر: "فحولة الشعراء (توري)، ص 17، ثم استعمل ابن سلام مصطلح المغلب بقوله:"وتميم بن أبي مقبل شاعر مجيد مغلّب، غُلِّب عليه النجاشي" طبقات فحول الشعراء1/ 150 كما استعمله في مواضع أخرى ينظر م. ن، 1/ 503والجاحظ يقول "إذا قالوا غلّب الشاعر فهو غالب، وإذا قالوا مُغلَّب فهو مغلوب".البيان والتبيين 312/2.

obeikandl.com

صـفونا فلـم نكـدر وأخلـص سـرنا إنـاث أطابـت حملنـا وفحـولُ[1]

وقال لبيد بن ربيعة العامري:

أو مَلْمَـعٌ وسقـت لأحقـب لاحـهُ طـردُ الفحـول وضربُهاوكِدامـها

"فمعنى الفحل والفحولة يؤول في اللغة إلى القوة والغلبة ففحول الشعراء هم المغلبون في الهجاء على من هاجاهم، وكذلك كل من عارض شاعراً فغلب عليه هو فحل مثل علقمة بن عبدة " ولعل في هذه أول الإشارات التي ترد فيها لفظة الفحل وصفاً مقترناً بالشاعر علقمة الذي غلب امرأالقيس كما مر معنا في حكم أم جندب وسمّي بالفحل.

وتأسيساً على هذا دخلت لفظة الفحل ميدان الأدب، ووصف بها النقاد كل شاعرٍ متميزٍبمزايا معينة وجاء في الأغاني أن الحطيئة قال لكعب بن زهير "قد علمت روايتي لكم أهل البيت وانقطاعي إليكم، وقد ذهب الفحول غيري وغيرك فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك وتضعني موضعاً بعدك فإن الناس لأشعاركم أروى وإليها أسرع. فقال كعب:

فمـن للقـوافي؟ شـأنها مـن يحوكهـا إذا مـا ثـوى كعـب وفـوّز جـرولُ[2]

وقد سئل رؤبة بن العجاج عن الفحل فقال " هو الراوية يريد أنه إذا روى استفحل"[3] وقيل إنه قال "الفحول هم الرواة "[4]، وللفرزدق آراء كثيرة في الشعر والشعراء، فقد قال في علقمة:

والفحـل علقمـة الـذي كانـت لـه حلل الملـوك كلامـه لا ينحـلُ[5]

---

(1) ديوان السموأل، ص91.

(2) طبقات فحول الشعراء1.4/1- 1.5 للاستزادة ينظر: الشعر والشعراء 56/1، والأبيات في ديوان كعب بن زهير، ص 66 مع تغيير يسير فصدر البيت الثالث (يقول فلا أعيا بشيءٍ يقوله) وفي الاخير (نقومها حتى...).

(3) البيان والتبيين9/2 وينظر العمدة ا/197.

(4) البيان والتبيين9/2 وينظر: قراضة الذهب في نقد أشعارالعرب، ابن رشيق القيرواني، ص29.

(5) ديوان النقائض 1 / 176.

obeikandl.com

فعندما سأله ذو الرمة وقال"مالي لا ألحق بالفحول؟ قال له يقعد بك عن غاية الشعراء نعتك الإعطان والدمن وأبوال الإبل"[1] وفي رواية قال "يمنعك من ذلك صفة الصحارى وأبعار الإبل"[2]. وفي رواية أخرى " قعد بك عن ذلك بكاؤك في الدمن ونعتك أبوال الغطاء والبقر وإيثارك وصف ناقتك وديمومتك"[3]. ويقال إنه قال له: "لتجافيك عن المدح والهجاء واقتصارك على الرسوم والديّار"[4] وهذه الأحكام تدل على مقدرة الفرزدق وذوقه وسعة اطلاعه، وحفظه الشعر، إذ يرى أن ذا الرمة ليس من شعراء المدح. والفخر والهجاء وإنّما يحسن التشبيه، فقلة الأغراض في شعره وعدم مبالغته في معانيها هي التي أبعدته عن اللحاق بالفحول.

وفي مجلسٍ شعريٍّ ضمَّ كلاً من عمر بن أبي ربيعة والأحوص ونصيب وكثيِّر عزّة الذي قام فيه بدور الحكم، وقد حكم على عمر في بعض غزلياته واتهمه بأنه أراد أن يتغزل بالحبيبة، فتغزَّل بنفسه، وهذا خروج منه على العادات العربية والتقليد الاجتماعي، ولذلك فضّل الأحوص عليه، لأنه صوَّر خضوعه وتذلّله للحبيبة في قوله:

لقد منعت معروفها أم جعفرٍ وإنّي إلى معروفها لفقيرُ

وبعد مدحه للأحوص اعترض عليه وذمَّه لقوله:

فإن تصلي أصلك،وإن تعودي لِهَجْرٍ بعدَ وصلكِ لا أبالي

وعلق كثير على هذا البيت منتقداً الأحوص بقوله" أما والله لو كنت من فحول الشعراء لباليت، هلا قلت كما قال هذا وضرب بيده على جنب نصيب :

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركبُ وقل إن تملينا فما مَلَّكِ القلبُ

---

(1) الموشح، ص 273-274 وينظر: الأغاني 2/18.

(2) الموشح، ص 273.

(3) م. ن، ص 274.

(4) م. ن،: 274.

obeikandl.com

وبعد أن مدح نصيباً عاد فأخذ عليه وعابه في قولٍ آخر[1]. وروي عن أبي عمرو بن العلاء قوله:" كان فحلان من الشعراء يقويان: النابغة وبشر بن أبي خازم "[2] قد روى يونس عن أبي عمر بن العلاء حكماً نقدياً وردت فيه الإشارة إلى الفحولة جاء فيه"كان أوس بن حجر فحل مضرحتى نشأ النابغة وزهير فأخملاه وكان زهير راويته"[3] وقال الأصمعي: "كان أوس بن حجر فحل الشعراء فلمّا نشأ النابغة طأطأ منه "[4] وعن بشر بن أبي خازم قال الأصمعي :" سمعت أبا عمر بن العلاء يقول: قصيدته التي على الراء ألحقته بالفحول"[5] وقد اعتمد الأصمعي على هذه المقولة حين قال "لا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلاً حتى يروي أشعارالعرب ويسمع الأخبار، ويعرف المعاني،وتدور في مسامعه الألفاظ، وأول ذلك أن يعلم العروض ليكون ميزاناً له على قوله؛ والنحو ليصلح به لسانه ويقيم إعرابه،والنسب وأيام الناس؛ ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب وذكرها بمدحٍ أو ذم "[6] والأخبار التي يتحدث عنها الأصمعي هي أخباربيئة الشاعر وبخاصة قَبِيلَتُهُ، فعليه أن يعرف شئونها وأمجادها وأيام فخرها وعزِّها... إلى ما هنا لك. وفحول الشعراء هم المغلوبون على الهجاء على من هاجاهم،وكل من عارض شاعر فغلب عليه فهو فحل [7] وتطور هذا المفهوم عند الأصمعي نفسه فقال " الفحل هو الذي له مزية على غيره كمزية الفحل على الحقاق وبيت جرير لك على هذا:

---

(1) الشعر والشعراء 412/1.والبيتان في ديوان الأحوص الأنصاري،141، 256.والبيت في شعر نصيب بن رباح، ص 60.

(2) م. ن 27/1. والموشح، ص 59.

(3) طبقات فحول الشعراء97/1.

(4) فحولة الشعراء، الأصمعي تحقيق توري، و تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي وطه محمد الزيني، ص 9، 15.

(5) م. ن، ص 14، ص 1.

(6) العمدة1/ 197. 198.

(7) ينظر لسان العرب مادة غلب.

openkandi.com

وابــن اللبــون إذا مــا لــز في قــرنٍ لم يستطع صولة البـزل القنـاعيسُ" (□)

وللأصمعي كتاب نقدي بعنوان" فحولة الشعراء " وقد ربط مصطلح الفحولة بالشعراء المجدين بدليل أنه استعمله على تسعة وأربعين شاعراً من الشعراء الجاهليين والمخضرمين ومقياس الفحولة في رأيه جودة السبك وبراعة المعنى ووفرة الشعر معاً، ومن الفحول عنده النابغة وامرؤ القيس وطفيل الغنوي وأوس بن حجر وعلقمة بن عبدة والنابغة الجعدي وحسان بن ثابت وقيس بن الخطيم والحارث بن حلزة والمسيب بن علس والمرقشان وعمرو بن قميئة والشماخ بن ضرار وأبو ذؤيب الهذلي وساعدة بن جارية وأبوخراش الهذلي وغيرهم[بر] وتمثلت الموازنة في الفحولة إلى تقسيم الشعراء إلى " فحل" و"غير فحل"، فضلاً عن تكرار المصطلح "شبيه بالفحل "و"ليس بالفحل "و" لو قال هذا لكان فحلاً "ويقول عن المهلهل"لو قال مثل قوله: (أليلتنا بذي حسمٍ أنيري)..لكان أفحلهم"[تر] وهذا يدل على أن للقصيدة قيمة كبيرة عند الأصمعي، وعن المتلمس قال: رأس الفحول[ير] وعن أعشى همدان قال هو من الفحول وكذلك قال عن أعشى باهلة، وعن مالك بن خريم الهمداني قال الأصمعي: "أرى أنه من الفحول"[سم] وعن سلامة بن جندل قال: لو كان زاد شيئاً كان فحلاً[شم]. وكان الأصمعي أبرز النقاد الذين أعطوا لهذا العامل اهتماماً خاصّاً، فهو يتمنى لو اجتمع هذا العامل لبعض الشعراء لكي يصبحوا مؤهلين للقب الفحولة فلو" قال الحويدرة مثل قصيدته خمس قصائد كان فحلاً "وكذلك كان

---

(1) فحول الشعراء، ص13 – 14، والحِقاق ما كان من الإبل ابن ثلاث سنين وقد دخل في الرابعة.وابن اللبون ولد الناقة، إذا استكمل الثانية ودخل في الثالثة، ولزه:شده وألصقه، والقرن: الحبل المفتول، والبزل: جمع بازل وهو الذي بزل أي طلع نابه، وذلك في تاسع سنيه.والقناعيس: الشداد.

(2) ينظر:فحولة الشعراء"توري"، ص 9 – 14، و"خفاجي"، ص 12 . 2.، 26 .27.

(3) م. ن، 12، 22.

(4) فحولة الشعراء، ص15، ص، 3.

(5) م. ن، ص 27 و15، ص 3.و12، 23.

(6) م. ن، 15، 3.

في حكمه على ثعلبة بن صعير المازني ومعقر البارقي حليق بني نمير [1].أما في من اقترب من الفحول أوشابههم فقد قال الأصمعي: كعب بن جعيل أظنه من الفحول ولا استيقنه[2]. وعن الأسود بن يعفر قال: يشبه الفحول. وعن جرادة بن عميلة العنزي قال: لهُ أشعارتشبه أشعارالفحول[3].وقد أخرج بعض الشعراء من الفحول فعن أعشى قيس قال ليس بفحل، وكذلك في حكمه على عمرو بن كلثوم،والراعي النميري وتميم بن أبيّ مقبل وابن أحمر الباهلي وعمرو بن شأس الأسدي فهؤلاء ليسوا من الفحول [4] وعن عدي بن زيد قال ليس بفحل ولا أنثى [5].

وقد أثار الأصمعي باستعماله المصطلح قضية الفحول معياراً نقدياً ينطوي على جملة معايير منها المعيار الزمني والكمي والنوعي والفني. وعلى هذا الأساس أدرك الأصمعي التبدل المعنوي والأخلاقي الذي طرأ على فنون الشعر بعد ظهور الإسلام حيث أصبحت الأغراض الشعرية تتوجه إلى القيم الدينية والأخلاقية، وإن الشعراء الذين انشرحت قلوبهم للإيمان لانت أشعارهم، وغابت عن بعضهم الفحولة وقال " طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان، ألا ترى أن حسَّانَ بن ثابت كان فحَلا في الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعره في باب الخير - من مراثي النبي ﷺ وحمزة وجعفر (رضوان اللّه عليهما) وغيرهم لاَنَ شعره. وطريقُ الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرئ القيس، وزهير، والنابغة، من صفات الديار والرَّحل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء وصفة الخمر والخيل والحرب والافتخار فإذا دخلته في باب الخير لان" [6].وفي رواية أنه قال:"الشعر نكد بابه الشر فإذا دخل في الخير ضعف هذا حسَّان بن ثابت فحل من فحول الجاهلية فلما جاء الإسلام سقط شعره" [7]. ويقصد

---

(1) فحولة الشعراء، ص12، 22، 23، 14، 26.
(2) فحولة الشعراء، ص 12، 23.
(3) م. ن، ص 14 . 15، 28.
(4) فحولة الشعراء، ص 11، 12،19، (2.، 22، 23)، 15، 28.
(5) م. ن، ص 11، 2.
(6) الموشح، ص 85.
(7) م. ن، ص 85.

الأصمعي بأغراض الشعر الجاهلي التي نهى عنها الإسلام هي باب الشر، فيما يرى باب الخير القيم والأخلاق والمبادئ، وهذه المعاني هي التي نقلت شعر حسَّان نقلة فنية باتجاه الالتزام، غير أن مقولة الأصمعي غير دقيقة لأن الشعر لا يقتصر على كونه نكداً بابه الشر، وإلا فأين ستكون الموهبة والعاطفة والانفعال، فضلاً عن موضوعات الخير والسلم والتي أنتَجت لنا قصائد يعتز بها ديوان الشعر العربي القديم[1].ومع هذا نجد أن الأصمعي فضَّل بشاراًعلى مروان بن أبي حفصة لأن الأول أقدر على قول الشعر في أغراضه المختلفة. وقد فصل الدكتور محمود الجادر هذه المعايير ووقف عندها بدقة في دراسته لجهد الأصمعي النقدي في فحولة الشعراء..إلى ماهنا لك.(بر) ولم يقتصر جهد الأصمعي في هذا المنحى على كتابه فحولة الشعراء بل إن له هناك " آراء نقدية أخرى كثيرة ومتنوعة مما نقع عليه في فحولة الشعراء، أو في غيره من المصادر ككتاب الأغاني والموشح والعمدة وغيرها من الكتب التي تحفل بآرائه النقدية وأحكامه التي لا تكاد تفارق مفهومه الخاص للشاعر الفحل، في حدود خصائصه التي أتينا على إجمالها، وقد كان لهذا المفهوم تأثير بالغ في النقد العربي بعد الأصمعي"(تر).

أما ابن سَلاَّم فقد أسهب في تطبيق هذا المصطلح مستفيداً من أستاذه الأصمعي ولعل كتابه طبقات فحول الشعراء قد ركز على مصطلح الفحول بدرجة رئيسة(بر)، وقد قسّم ابن سَلاَّم الطبقات إلى عشر طبقات للجاهليين وطبقة لأصحاب المراثي وطبقة شعراء القرى العربية وطبقة شعراء اليهود، ومن ثم وضع عشر طبقات للشعراء الإسلاميين. وتتألف كل طبقةٍ من طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين من أربعة شعراء، ويبدو أنه اعتمد عدداً من المعاييرمنها: كثرة الشعر وجودته وتنوع الأغراض أساساً لهذا التقسيم، وقد عدَّ المخضرمين ضمن شعراء

---

(1) فمنها أبيات الحكمة التي ترد على ألسنة الشعراء وعلى وجه الخصوص شعر زهير بن أبي سلمى التي قالها في السلم، ورثاء الخنساء لأخيها صخر فهي أروع ما أنتَج لنا أبواب الخير.

(2) ينظر: م. ن، ص 17.13.

(3) فصول في النقد العربي وقضاياه، محمد خير شيخ موسى، ص 18.

(4) ينظر طبقات فحول الشعراء.1/25،24، 67، 132.

obeikandi.com

الجاهلية ومنهجه يعتمد على إنزال الشعراء منازلهم، إذ يقول:" ففصّلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين فنزلناهم منازلهم، واحتججنا لكل شاعر بما وجدناه له من حجة، وما قال فيه العلماء، واقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً ،فألفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه فوجدناهم عشرطبقات أربعة رهط لكل طبقة متكافئين معتدلين..ثم اقتصرنا بعد الفحص والنظر والرواية عمن مضى من أهل العلم إلى رهط أربعة على أنهم أشعرالعرب طبقة" (1)..وقد ركز ابن سَلاَّم على الفحول بدليل قوله "الفحول المشهورين" وقال على سبيل المثال :

"فخداش شاعر فحل، والمخبّل شاعر فحل، وكان أبو ذؤيب شاعراً فحلاً لا غميزة فيه ولا وهن.. وكان للشماخ إخوان وهو أفحلهم...(2) إلى ماهنا لك.

وفي هذا الرأي تأكيد على أن الشماخ وإخوته جميعهم من الفحول غير أن الشماخ أفحلهم.

ومن الطبقات الأخرى التي راعى فيها ابن سَلاّم العدد الرباعي - طبقة أصحاب المراثي، وهي مؤلفة من أربعة شعراء هم: متمم بن نويرة، والخنساء، وأعشى باهلة، وكعب بن سعد الغنوي(3)، فهذه الطبقة تميز شعراؤها بالإجادة في فن "الرثاء" وكونهم في طبقة واحدة لم يمنع ابن سَلاَّم من أن يقرر أن المقدم عليهم متمم بن نويرة " فالنظام الطبقي هنا نظام يصف ولا يحدد، نظامٌ يميّزُ في أشكال، ولا يدخل في دوائر، نظام الشاعر فيه هو المحور وليست الطبقة هي المحور، والأساس فكرة عامة لها مثلٌ عليا وتقاليد مرعية، وعن طريقها تفاضل بين شعراء الطبقة الواحدة في فن الهجاء أو المدح أو الغزل أو الفخر أو غيرها من الأغراض."(4) وكذلك الحال في طبقة شعراء القرى العربية يتميزون بنشأتهم الحضرية. وتحوي هذه الطبقة ثلاثين شاعراً صنفوا بحسب القرى التي عاشوا فيها. فهناك شعراء المدينة، وشعراء مكة،

---

(1) طبقات فحول الشعراء 22/1 - 23.

(2) م. ن، 144/1، 15.، 131، 132، 147.

(3) طبقات فحول الشعراء 2.4/1. 212.

(4) ابن سَلاَّم وطبقات الشعراء، ص 254.

openkanal.com

وشعراء الطائف وشعراء البحرين(1).وشعراء اليمامة، ولكنه لم يذكر لليمامة شاعراً، وقال: "ولا أعرف باليمامة شاعراً معروفاً"(2) وهذا دليل أنه لم يعرف بها شاعراً فحلاً مشهوراً،فأخملها.

أما فيما يخص الطبقة الأخيرة من الشعراء فقد خصصت لشعراء اليهود وتميّز شعراؤها بأنهم جميعاً ذوو دين سماوي واحد(3).

وقد بلغ عدد الشعراء الفحول الذي ترجم لهم ابن سَلاَّم مائة وأربعة عشر شاعراً، وكان منهجه في الترجمة يقوم بصورة عامة على ذكر نسب الشاعر وبعض أخباره، وآراء العلماء فيه ونماذج مختاره من شعره، وكان ابن سَلاَّم يروي هذه الأخبار والأشعارمسبوقة بإسنادها حرصاً منه على توثيق مادة الكتابة،وتختلف هذه التراجم طولاً وقصراً،فمنها ما يصل إلى عشر صفحات،ومنها مالايتجاوز أسطراً أو كلمات معدودة. وقد اختلف الرواة فيهم، ولا شك في أن ابن سلام قد اهتدى بذوقه الخاص إلى بعض آراءٍ وأحكامٍ غير مسبوقة.وعلى الرغم من القيمة الكبرى لهذا الكتاب الذي يعد أول كتابٍ منهجي للنقد الأدبي فإن هناك بعض المآخذ والهنات على هذا التقسيم منها:

1 ـ إن ابن سَلاَّم ألزم نفسه بتصنيف الشعراء في عشر طبقات،في كل طبقة أربعة شعراء.وألتزم بهذا التقسيم في عشرين طبقة خصص العشرالأولى منها للشعراء

---

(1) ينظر:طبقات فحول الشعراء1 /215-226،235-257،26. -27 .،271 - 278.وشعراء المدينة حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة وقيس بن الخطيم وأبو قيس بن الأسلت.وشعراء مكة:عبدالله بن الزبعري وأبو طالب بن عبد المطلب والزبير بن عبدالمطلب وأبوسفيان بن الحارث ومسافر بن أبي عمرو وضرار بن الخطاب الفهري وأبو عزة الجمحي وعبدالله بن حذافة السهمي وهبيرة بن أبي وهب المخزومي.وشعراء الطائف: أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي وأمية بن أبي الصلت وأبو محجن الثقفي وغيلان بن سلمة وكنانة بن عبد ياليل"ولم يترجم له"كلمة واحدة.وشعراء البحرين :المثقب العبدي والممزق العبدي والمفضل النكري.

(2) طبقات فحول الشعراء 1/274.

(3) طبقات فحول الشعراء 1/ 279 . 294. والشعراء هم :السموأل بن غريض بن عاديا، من أهل تيماء، والربيع بن الحقيق وكعب بن الأشرف، وشريح بن عمران، وسعية بن العريض، وأبو قيس بن رفاعة، وأبو الذيال، ودرهم بن زيد.

oberkanal.com

الجاهليين، والعشر الأخرى للإسلاميين وليس هناك ما يبرر التزامه بهذه الأرقام، كما إنه لم يقدم سبباً لذلك، بل إنه يعترف بأن شاعراً كان يستحق أن يوضع في مرتبة، أعلى من المرتبةٍ التي وضعه فيها ومنعه من ذلك تقيّده باختيار أربعة من الشعراء في كل طبقة. وعلى هذا التقسيم يقول الدكتور علي كاظم أسد "لقد واجه ابن سَلاَّم في تقسيمه فحول الجاهلية والإسلام على طبقات تحوي كل طبقة أربعة شعراء منهم واجه عنتاً ما بعده عنت حتى اضطر إلى الاعتراف بهذا فأمتحن في تقويمه هذا امتحاناً عسيراً فصار عبرةً لابن قتيبة الذي نأى عن معايير ابن سَلاَّم وأمعن في رأيه وتدرع بالموضوعية حينما وضع عنواناً لكتابه يوحي بهذا النأي عن التفضيل أو التقسيم أو الانتماء إلى الزمن"[□].

2 ـ خضع ابن سَلاَّم في المفاضلة بين الشعراء لمعايير فنية، ولكنه عاد ووضع شعراء الرثاء في طبقة، وشعراء القرى في طبقة، والشعراء اليهود في طبقة وهذا بدوره أدّى إلى تنوع المعايير.

3 ـ لم يحتكم ابن سَلاَّم إلى معيار الجودة وحده، بل أضاف إليه الكثرة وتعدد الأغراض، وقد دفعه إلى أن يؤخر شعراء كان لهم حظ كبير من الإجادة ولا يعيبهم إلاّ قلّة ما روي لهم. فابن سَلاَّم يقول عن دالية الأسود بن يعفر النهشلي: "كان الأسود شاعراً فحلاً.. وله واحدة رائعة طويلة لاحقة بأجود الشعر، لو كان شفعها بمثلها قدمناه على مرتبته وهي:

نام الخلي وما أحسُّ رقادي   والهم محتضرٌ لديّ وسادي

وله شعر جيد ولا كهذه"[بر].

وسويد بن أبي كاهل له قصيدة التي أولها:

بسطت رابعة الحبل لنا   فوصلنا الحبل منه ما اتسع

وله شعر كثير، ولكن برزت هذه على شعره[تر].

---

(1) كافوريات المتنبي دراسة تاريخية وفنية، ص 195.

(2) طبقات فحول الشعراء 147/1 والبيت في ديوان الأسود بن يعفر، ص25.

(3) طبقات فحول الشعراء 1/ والبيت في ديوان الشاعر،ص 23.

4 ـ إن هذه الطبقات لا تشمل جميع الشعراء الفحول، فقد أهمل مثلاً المرقشين "الأكبر والأصغر" ومعن بن اوس المزني وعمر بن أبي ربيعة والطرماح، والكميت، وعبيدالله بن قيس الرقيات وغيرهم. وقد ورد المصطلح عند الجاحظ وهو يذكر طبقات الشعراء يقول"والشعراء عندهم أربع طبقات فأولهم:الفحل الخنذيذ والخنذيذ هو التام"(1) وبهذا يرى أن مصطلح الفحل هو أعلى مرتبة في كل الأوصاف التي تصطلح على الشعراء.

وإذا كان ابن المبرد قد استعمل كلمة فحل بمعناها اللغوي، فإن قدامة بن جعفر استعمل الفحل بمعناها اللغوي والاصطلاحي، وقد أدرك المعنى الاصطلاحي بعمق،فإنه حين تحدث عن التصريع قال، "كما يوجد ذلك في أشعاركثير من القدماء المجيدين من الفحول وغيرهم، وفي أشعارالمحدثين المحسنين منهم" (2)، ولم يكتفِ بذلك فقد استحسن تصريع المطلع فقال " إن الفحول المجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين يتوخون ذلك ولايكادون يعدلون عنه "(3) ويذكر أن بعض الفحول قد ركب الإقواء في مواضع مثل سحيم بن وثيل الرياحي وجرير"(4) ويقول عن الاستعارة"وقد استعمل كثير من الشعراء الفحول المجيدين أشياء من الاستعارة.."(5) وقد ورد مصطلح الفحولة عند النقاد في القرنين الرابع والخامس من دون أن يفقد دلالته اللغوية والاصطلاحية(6). ويقول إدريس الناقوري" والظاهر أن قدامة لا

---

(1) البيان والتبيين11/2.

(2) نقد الشعر، ص 38.

(3) م. ن، ص 51. للاستزادة ينظر: البيان والتبيين1.9/1 والشعر والشعراء89/1، 76، 38.

(4) نقد الشعر، 211

(5) م. ن، ص 202.

(6) ينظر:الموشح، ص 63، 85، 9.، ويتيمة الدهر، 279/1، والعمدة 114/1، 197. وقد ورد في هذه المقولة مصطلح "المجيد" وقد وصف به عدد من الشعراء الجيدين وكان الأعشى (ميمون بن قيس) قد استعمل استعمل هذا المصطلح في قوله:

مثلكِ قد لهوتُ بها وأرضٍ مهامه لا يقود بها المجيد

والبيت في ديوان الأعشى 373.وهذا التأصيل النقدي هو الذي اعتمدده النقاد مصطلحاً نقدياً.ينظر الشعروالشعراء 492/1، ونقد الشعر 40، والعمدة 1/ 115، وتاريخ النقد الأدبي عند العرب إلى القرن الرابع الهجري، ص158.

يقصرالفحولة على مجموعة محددة من شعراء الجاهلية كما فعل الأصمعي بل إن مصطلح الفحول يشمل عنده الشعراء الكبار المجيدين سواءٌ كانوا جاهليين أو مخضرمين أو إسلاميين أو محدثين بدليل إنه ذكر شعراء غير أؤلئك الذين حصرهم الأصمعي مثل طرفة وأوس وأبي ذؤيب وجرير وليلى الأخيلية"[1]. وقد تطرق الدكتور عناد غزوان في بحثه المعنون بـ (محمد بن سلام الجمحي المتوفى سنة 231 هـ في كتابه طبقات فحول الشعراء) لمناقشة عدد من القضايا، وركز على المفاضلة بين الشعراء وقال: " فالطبقة الشعرية الأولى من شعراء العرب قبل الإسلام هم :امرؤ القيس وزهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني والأعشى على سبيل المثال، تمثّلُ أربعة أساليب شعريّة من الناحية الفنية أي أن أسلوب امرىء القيس شخصية قائمة بذاتها لا تعبر إلا عن امرىء القيس بمغامراته ولهوه وعبثه وهي تختلف عن شخصية زهير في أسلوبه الحكمي ومدحه الاجتماعي، ودعوته الصريحة إلى الوئام والسلام بين القبائل العربية، تلك الشخصية الأسلوبية التي تختلف بدورها عن شخصية النابغة الذبياني في اعتذارياته أو الأعشى في خمرياته ومدائحه التكسبية المعروفة في الشعر العربي القديم. بيد أن هذا الاختلاف في الأساليب الشعرية وطبيعة الصياغة الفنية عند هؤلاء الشعراء لا يعني أنهم مختلفون أو متباينون في أصالتهم الشعرية المنفردة وقيمة شعرهم الفنية المعروفة في الأوساط النقدية التي تعاصرت معهم أوجاءت بعدهم "[2] وفوق كل هذا يرى أن الفحولة لم تبارحهم فقال" :فهم شعراء فحول ينتمون إلى طبقة شعرية واحدة على وفق المعيار النقدي القائم على أساس الجودة والإبداع والمستوى الفني الرفيع لشعرهم، ذلك المعيار الذي يجعلهم نظراء متقدمين في فنهم الشعري.وقل مثل ذلك عن الطبقة الشعرية الأولى من الإسلاميين: جرير والفرزدق والأخطل والراعي "[3] وهذه الآراء النقدية المهمة تؤكد أن مصطلح الفحولة كان مصطلحاً فنياً منذ لُقِّبَ به علقمة ومروراً بأشعارالشعراء حتى وصل

(1) المصطلح النقدي في نقد الشعر، ص 283.

(2) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 69.

(3) م. ن، ص 69.

openkanal.com

إلى النقاد المختصين من علماء القرنين الثالث والرابع الهجريين، وقد بنيت عليه دراسات كثيرة ومهمة.

ويرى الدكتور محمود الجادر أن "مصطلحات النقد اتسمت بشيءٍ من الأصالة اللغوية، وذلك أن نقد الشعر كان من العلوم العربية المبكرة، بل إننا نزعم أنه من أقدم العلوم العربية، فقد مارسه الجاهليون بل إن بعض تلك المصطلحات لا يزال مقترناً بمدلوله الجاهلي نفسه حتى يومنا هذا"(1).

ويرى الدكتور عناد غزوان أن " الطبقة الشعرية عند ابن سَلاَّم ذات دلالة زمانية حين قسم الشعراء إلى جاهليين وإسلاميين، وذات دلالة مكانية حين قسّم الشعراء حسب بيئاتهم: المدينة مكة، و الطائف، وذات دلالة فنية حين أفرد لبعض الشعراء المختصين بفنٍّ شعريٍّ واحد طبقة خاصة بهم هي طبقة شعراء المراثي"(2). وأكد أن ألطبقة الشعرية" مصطلحٌ نقديٌّ ذو أبعاد تاريخية وفنية وأسلوبية، لها دلالتها الأدبية بوصفها قضية في تاريخ النقد العربي."(3) وعلى هذا الأساس ارتبطت فكرة الطبقات بالفحول من الشعراء الجاهليين. ولا يعني أن مصطلح الطبقات قد انفرد به ابن سلام فكتاب الفحولة للأصمعي قسم إلى طبقات، ولكن من دون ذكر هذا المصطلح وقد بيَّنا هذا التقسيم في قوله: فحل.. ولكان فحلاً.. وشبيه بالفحل، ولا فحل ولا أنثى وليس بفحل فوضع الشعراء في خمس طبقات. كذلك أبو عبيدة قسم الشعراء إلى طبقات، ومن ثم جاء ابن سلام وحدد منهجه بشكل واسع وجيد في تقسيم الشعراء إلى طبقات وتبعه في هذا التقسيم ابن قتيبه حينما وضع للشعراء أربعة أضرب في كتابه القيم والمهم الشعر والشعراء، ومن ثم جاء ابن المعتز وقسَّم الشعراء المحدثين إلى طبقات، وأفرد لهذا الموضوع كتاباً سماه (طبقات الشعراء). وقد حظيت هذ المصادروغيرها بدراسات نقدية جادة، وليس هدف البحث جرد المصطلحات وإحصاءها ولكن اقتصر أمرنا على بعض منها وركزنا على

---

(1) الفحولة بين الجذر اللغوي والتاسيس الاصطلاحي مجلة الموقف الثقافي السنة الخامسة، ص52.

(2) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 68.

(4) م. ن، ص 69.

المصطلحات النقدية المهمة التي كان للنقاد العرب الجاهليين دراية بها وكان مفهومهم لهذه المصطلحات البذرة الرئيسة لنشوء المصطلحات النقدية وتطورها سعياً إلى استكمال النظرية النقدية عند العرب.

obeikandl.com